الشيخ/ بكر محمد إبراهيم

خشوع المرأة فى الصلاة

مكتبة القدسى
للنشر والتوزيع

٧٤ ش البستان ـ عابدين ـ القاهرة
ت: ٣٩٢٥٦٨٨

مكتبـــة القدســـى

للنشـــر والتوزيـــع

٧٤ ش البستان - عابدين - القاهرة

ت: ٣٩٢٥٦٨٨

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م

تطلب مطبوعاتنا

من

مركز توزيع الكتاب الإسلامـــى

٢ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [الأحزاب].

كتبت هذا الكتاب شارحا فيه الخشوع فى الصلاة، وكيف تستطيع المسلمة أن تنال هذه الصفة التى لا يمتاز بها إلا المؤمنون المفلحون كما قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) ﴾. [المؤمنون]

وفى هذا كيفية الاستعداد للصلاة ، وإبعاد المشاغل واختيار المكان وتفريغ

القلب وانتظار الصلاة وقضاء حوائج الجسم والخشوع أثناء الصلاة فى الركوع والسجودوالتشهد.

وكيفية خشوع السلف واخفاء الخشوع وحكم الخشوع والطمأنينة فى الصلاة ، وتدبر الآيات المقروءة وأذكار الصلاة، وترتيل القراءة وتحسين الصوت بها والدنو إلى السترة وتحريك السبابه وسجود التلاوة ، ومعرفة مزايا الخشوع وغير ذلك من لوازم الخشوع وكيفيته .

نفع الله به الأخوات المسلمات وأثابهن وتقبل منا ومنهن الصلاة فهى الركن الثانى من أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وهى أول ما يحاسب عنها العبد يوم القيامة .

والحمد لله أولا وآخراً .

الشيخ / بكر محمد إبراهيم

الباب الأول :

خشوع المرأة فى الصلاة

فضل الخشوع

إن الله سبحانه قد امتدح الخاشعين فى مواضع كثيرة من كتابه فقال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② ﴾ [المؤمنون].

وقال : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ⑮ ﴾ [البقرة].

وقال: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ⑲⑨ ﴾ [آل عمران].

وقال: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ⑨⓪ ﴾[الأنبياء].

وقال: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ①⓪⑨ ﴾[الإسراء].

وامتدح رسول الله ﷺ الخشوع وبين فضل البكاء من خشية الله فقال:

« لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع، ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم»(1).

وقال : «سبعة يظلم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله... وذكر منهم، ورجل

---

(1) رواه الترمذى فى كتاب الجهاد/ باب ما جاء فى فضل الغبار فى سبيل الله.

ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[1] . وعن عبد الله بن الشخير - رضى الله عنه- قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء»[2].

وغيرها من الأحاديث كثير. وأصل الخشوع كما قال ابن رجب : « لين القلب ورقته وسكوته، وخضوعه، وانكساره، وحرقته. فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح، والأعضاء لأنها تابعة له»[3].

والخشوع يحصل بمعرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته، فإذا ما أدرك العبد عظمة الله وكبرياءه وقوته- سبحانه- واستقرت هذه المعرفة فى قلبه فإن ذلك يظهر عليه فى سلوكه وأقواله.

ولما كان العبد يتقلب فى ملك الله ويرى آياته لا تنقطع أصابه التبلد والفتور فاحتاج من يوقظه كل حين، والصلاة خير موقظ فهى توقظه خمس مرات في اليوم والليلة. والخشوع يأتى للقلب غالباً إذا بذل العبد أسبابه، كما أن القلب يقسو ويغفل إذا تركت أسباب الخشوع.

ومن أقوى أسباب الخضوع الوقوف بيْن يدي رب العباد، ولكن ليس كل وقوف يزيد فى الخشوع إنما الوقوف الذى يزيد فى الخشوع ما وافق ما عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

والخشوع يزيد وينقص حسب الأخذ بالأسباب الجالبة له.

وإليك هذه الأسباب بالتفصيل :

---

(١) متفق عليه. روراه البخارى فى أبواب الصلاة/ باب من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة. ومسلم فى الزكاة/ باب فضل إخفاء الصدقة.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود كتاب الصلاة/ باب البكاء فى الصلاة والترمذى فى كتاب الشمائل المحمدية/ باب ما جاء فى بكاء رسول الله ﷺ .

(٣) الخشوع فى الصلاة/ ابن رجب ص١٧ مكتبة الحرمين.

قبل الصلاة

إننا أختى فى الله قد اعتدنا على الصلاة، لذا أصبحنا إذا سمعنا الآذان بادرنا وتوضأنا ووقفنا ثم صلينا ونحن لا تنفك أذهاننا تفكر فى حياتنا ومشكلاتنا ويفوتنا بذلك الخير الكثير.

فإذا ما أردتِ أن يتحقق لك الخشوع فافعلى الآتى :

١- إذا سمعت المؤذن فقولى كما يقول غير أنه إذا قال حى على الصلاة حى على الفلاح فقولى : «لا حول ولا قوة إلا بالله».

لقوله ﷺ : «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىَّ فإنه من صلى علىَّ صلاة صلى الله عليه عشراً ثم سلوا الله لى الوسيلة- وإنها درجة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله- فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة»[١].

وسؤال الوسيلة - يكون بهذه الكلمات التى وردت فى الحديث الآتى :

عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« من قال إذا سمع النداء : «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة»[٢] .

---

(١) بهذا اللفظ أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه باب فضل الصلاة على النبى ﷺ بعد فراغ سماع الأذان وأخرجه مسلم فى كتاب الصلاة حديث دقم ١١.

(٢) بهذا اللفظ أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه باب صفة الدعاء عند مسألة الله عز وجل للنبي محمد الوسيلة وهو عند البخازى كتاب الأذان باب ٨ بلفظ مقاماً محموداً وهو الأصح قاله الأعظمى.

ثم اسألى الله من فضله واجتهدى فى الدعاء فإن الدعاء يجاب عند الأذان. قال رسول الله ﷺ «اثنتان لا تردان أو قل ما تردان، الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلتحم بعضهم بعضا»(١).

وإنى ألحظ كثيراً من الناس يجتهدون فى الدعاء عند الكعبة، وهم يغفلون عن هذا الوقت الذى قل ما ترد فيه الدعوة، بل يمضونه فى الحديث الذى لا ينفع ويضيعون بذلك الكثير.

وإذا عرفت ذلك أختى فاجتهدى فى الدعاء عند الأذان أو بين الأذان والإقامة. بما فيه خير دنياك وآخرتك. قال رسول الله ﷺ : «الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد»(٢).

ثم سارعى إلى الوضوء عملاً بقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦) ﴾ [المائدة].

واستحضرى فضل الوضوء فإن رسول الله ﷺ قد قال : «من توضأ

---

(١) أخرجه ابن خزيمة وقال : الأعظمى إسناده حسن، ورواه أبو داود والبيهقي.

(٢) رواه أبو داود والترمذى واللفظ له والنسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما. وزاد «فادعوا» وقال الألبانى : صحيح، «صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٨/١).

فأحسن الوضوء وصلى غفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى»[1].

وإحسانه يكون بالوضوء كما كان يتوضأ رسول الله ﷺ وإليك ما يوضح وضوءه ﷺ ثبت أن عثمان بن عفان دعا يوماً بوضوء فتوضأ، فغسل كفيه ثلاث مرات واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات، ثم غسل يده اليسرى مثل ذلك ثم مسح برأسه، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرات، ثم غسل رجله اليسرى مثل ذلك، ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئى هذا، ثم قال رسول الله ﷺ :« من توضأ نحو وضوئى هذا ثم قام فركع ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه»[2].

فإذا علمت ذلك فاجتهدى فى إتقان الوضوء كما مر واستجمعى فكرك كله عليك مجاهدة نفسك أن تحدثك بأمر من أمور الدنيا[3].

وستقولين: كيف أستطيع أن أتوضأ دون أن أحدث نفسى .

أقول : إذا أردت الوضوء فانشغلى فى ذكر ما يقول رسول الله ﷺ عند الوضوء وهو قول «بسم الله» فإذا شرعت فى الوضوء ففكرى فى كل عضو تغسلينه ما اكتسب من الذنوب، فإذا فعلت ذلك استحضرى أن الوضوء يكفر الذنوب وأن الخطايا تخرج مع الوضوء.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه باب ذكر فضائل الوضوء. قال الأعظمى: إسناده صحيح، ورواه أحمد.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن خزيمة باب ذكر حط الخطايا بالوضوء، وهو عند مسلم كتاب الطهارة، ٣٢.

(٣) إنما يطلب الاجتهاد في عدم تحديث النفس أثناء الوضوء لأجل استشعار هذه العبادة، أما مغفرة ما تقدم من الذنوب الوارد فى الحديث ف نما تحصل لمن لم يحدث نفسه فى الصلاة- أى الركعتين- دل على ذلك الضمير فى .. فيهما- فإنه عائد إلى الركعتين.

فإذا غسلت وجهك فتذكرى أن كل خطيئة نظرت إليها عيناك خرجت مع الماء، وإذا غسلت يديك فاستحضرى أن كل خطيئة بطشتها يداك خرجت مع الماء وإذا غسلت رجليك فاستحضرى أن كل خطيئة مشتها رجلاك خرجت مع الماء. وبهذا تخرجين من الوضوء مغفورة الذنوب كما قال رسول الله ﷺ .

«إذا توضأ العبد المسلم (أو المؤمن) فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء (أو مع آخر قطر الماء) فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء (أو مع آخر قطر الماء) فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء (أو مع أخر قطر الماء) حتى يخرج نقياً من الذنوب»(١).

ثم إذا هممت بالخروج من المغتسل فاستحضرى ما حزتيه من الأجر العظيم من حط ذنوب ورفع درجات، واستحضرى قوله ﷺ : «ألا أدلك على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»(٢).

واستحضرى كذلك أن مواضع الوضوء ستكون علامة لك يوم القيامة تُعرفين بها فتنظرين إلى أعضائك التى غسلتيها بشىء من السرور والغبطة أن هداك الله لهذا. وقد جاء فى الحديث أنك تعرفين يوم القيامة بوضوئك كما جاء أن حليتك تبلغ منك مبلغ الوضوء.

خرج رسول الله ﷺ إلى المقبرة فسلم على أهلها، وقال: « سلام عليكم

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن خزيمة باب ذكر حط الخطايا بالوضوء، وهو عند مسلم كتاب الطهارة، ٣٢.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن خزيمة. وهو عند مسلم كتاب الطهارة ٤١ .

أهل دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. وددت أنا قد رأينا إخواننا». قالوا: أولسنا بإخوانك يا رسول الله؟ قال: «أنتم أصحابى، وإخوانى قوم لم يأتوا بعد، وأنا فرطكم على الحوض» قالوا: وكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يارسول الله؟ قال: «أرأيتم لو أن رجلا له خيلٌ غر محجلة بين ظهرى خيل بُهم دُهم ألا يعرف خيله؟» قالوا: بلى يارسول الله. قال: «فإنهم يأتون غُرا محجلين من أثر الوضوء وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم فيقال: إنهم قد أحدثوا بعدك، وأقول: سحقا سحقاً»[1].

وقد قال ﷺ «إن الحلية تبلغ مواضع الطهور»[2].

وإذا خرجت وقد توضأت فاذكرى هذا الدعاء لتنالى جزاءه، وهو الوارد فى هذا الحديث.

قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو يسبغ- الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»[3] وإن زدت اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » فحسن[4].

وإذا فعلت ذلك فى وضوئك فأنى للشيطان أن يقربك وأنى له أن يدخل عليك بوسواسه، فأنت فى كل لحظة معلقة قلبك بالله سبحانه وبما ورد عن نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

---

(١) هذا اللفظ لابن خزيمة وأخرجه مسلم / كتاب الطهارة ٣٩.

(٢) هذا اللفظ لابن خزيمة أخرجه مسلم / كتاب الطهارة ٤٠.

(٣) رواه مسلم كتاب الطهارة باب الذكر المستحب عقب الوضوء.

(٤) هذه الزيادة رواها الترمذى فى كتاب الطهارة باب ما يقال عند الوضوء وهى صحيح.

الاستعداد للصلاة قبل الصلاة

إذا أردت الصلاة بعد وضوئك، وأردت الخشوع فيها فإن عليك أن تراعى أموراً تزيدك خشوعاً :

أولا: الاستعداد بالسواك :

إن من السنن المؤكدة تطييب رائحة الفم وتنظيف الأسنان بالسواك عند الوضوء وقبل الصلاة، وذلك لما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع وضوء»[1].

وفى رواية « عند كل صلاة».

وذلك يكسبك نشاطاً، ويعلمك التهيؤ للوقوف بين يدى الله سبحانه وتعالى : كما أن السواك أفضل طارد للنوم إذا كانت الصلاة بعد نوم، مما يساعدك على التنبه لما تقرئين.

ثانيا: الاستعداد باللباس الحسن النظيف والتطيب والبعد عن الريح الكريهة:

إنك أختى لو فكرت فى قدومك إلى الصلاة لوجدت نفسك لا تستعدين لها استعدادك للقاء أى صاحبة لك أو ضيفة تزورك، فلو كنت قبل الصلاة استحضرت أنك ستقدمين على ملك الملوك رب العباد الذى أمرك بأخذ الزينة عند كل مسجد حيث قال : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) ﴾ [الأعراف].

والمسجد لفظ عام لكل مكان يسجد فيه المصلى من ذكر أو أنثى.

---

(١) متفق عليه ، وخرجه الألبانى فى إرواء الغليل رقم ٧٠.

لو كنت استحضرت هذا لبذلت الجهد فى الاستعداد للصلاة بالحسن من الطيب والثياب[1]. واعلمى أن احتسابك بهذا يأتى بالخشوع فالحسنة تجر الحسنة، كما أن اللبس النظيف والريح الطيب يجعل صاحبه فى راحة نفسية بخلاف اللباس الوسخ الملىء بالعرق والرائحة الكريهة فإنه يجعل صاحبه فى نفسية متضايقة، ولا يستوى من يصلى مرتاح النفس ومن يصلى وهو متضايق.

وكما أن اللباس يحسن أن يكون نظيفا فإنه يحسن أن يكون مريحاً لأن اللباس إذا لم يكن مريحاً- كأن يكون ضيقاً- فلن تستطيعى أخذ راحتك عند الركوع والسجود والجلسة بين السجدتين وعند الجلوس للتشهد، فإذا جلست وأنت غير مرتاحة فستعجلين فى الصلاة ولن تجلسى للتشهد لتقوليه بتمامه كما ينبغى، وإن قلتيه تاماً لفظاً فلن تستشعرى معانيه، ولن تتمكنى من الدعاء بعده بقلب خاشع خاضع، والضيق لا يتأتى معه الخشوع لذلك نُهى عن الصلاة والمصلى يدافع الخبث أو الجوع أو غيره.

وسيأتى ذكر مدافعة الخبث ..

ويلاحظ أن من بعض الأخوات إذا كانت تهم بالذهاب لزواج أو حفلة ما استعدت بلبس أجمل الملابس محتملة ما يكلفها هذا الملبس من الضيق، وهى لا تحتمل أن تلبس عليه حجاب صلاتها، ولكنها مضطرة للصلاة فى وقتها فتجدينها تتعجل بالصلاة محتملة هذه الدقائق التى تصلى فيها وكأنما قد قيدت بقيود تستعجل الخلاص منها بالسلام.

وكذا إذا وضعت مساحيق على وجهها[2] فهى تسارع إلى الصلاة خشية

(١) وذلك إذا كانت الصلاة فى البيت أما إذا كانت فى المسجد فيجب أن تتجنبى الطيب وإنما طيبك الماء، لما فى التطيب من فتنة للرجال ولورود النهى عنه حال الخروج.

(٢) ثبت ضرورة هذه المساحيق للوجه والبشرة.

أن ينتقض وضوؤها فتعجل بالصلاة كأنها حمل ثقيل لترتاح منه. أما إذا كانت ممن تضع فى شعرها ما يسمى « باللفافات» فحدث ولا حرج عن ضيقها حين تضع حجاب صلاتها على رأسها، أو حين تسجد، أو حين تركع هذا إذا استطاعت أن تمكن جبينها من الأرض.

فلنتقى يا أخواتى من نقف بين يديه أن يأخذنا بغتة فلا نستطيع بعد الصلاة صلاة.

وإذا أدركتك الصلاة وأنت على هذه الحال السالفة، فلا تتكاسلى عن خلع ما يضايقك واستبداله بما يريحك واحتسبى الأجر من الله ولا يزين لك الشيطان وأنت على هذه الحالة فتقولين أتحمل خمس دقائق وأصلى، ثم تصلين صلاة كصلاة الخائف.

واعلمى أنك لو أرغمت نفسك على نبذ ما لا يريحك عند الصلاة - مهما كلفك- ولو مرة واحدة لسهل عليك الأمر وعرفت كيف أن الصلاة تحتاج منك إلى استعداد.

ثالثا: الاستعداد بإحكام ستر العورة :

إن من شروط صحة صلاتك أختى ستر عورتك فى الصلاة وهى جميع جسدك عدا الوجه والكفين. وقد تقولين ما علاقة ذلك بالخشوع؟

الجواب هو :

إن ستر العورة ستراً تاماً بإحكام يهئ لك وضع كل عضو فى مكانه أثناء الصلاة لأنك إذا لم تحكمى ستر العورة فإنه قد يسقط خمارك أو يوشك فتنشغلين بإصلاحه الحين والحين، وقد يفوت عليك ذلك بعض السنن فى الصلاة كرفع اليدين عند التكبير أو الرفع من الركوع أو وضع اليدين على الفخذين عند

التشهد أو غير ذلك، وأنت مع هذا قد تذهبين بعض الطمأنينة التى لا تصح الصلاة إلا بها وهى مطلوبة فى جميع الأركان.

أو قد تتعجلين إنهاء الصلاة خشية أن تنكشف عورتك بظهور بعض شعرك فتسلمين قبل أن تدعى، وأى خشوع سيكون وأى حضور قلب وأنت لاهية فى شىء آخر.

رابعا: الاستعداد بإبعاد كل ما يشغلك سواء كان أمامك أو تلبسينه أو تسجدين عليه:

وذلك بأن تختارى مكاناً هادئاً قليل الأثاث والزخارف فلا تصلى أمام جدار مزخرف بالديكور والألوان.

كذا البقعة التى تصلين عليها ينبغى لك إذا أردت الخشوع أن تصلى علي بقعة خالية من الزخارف والألوان ، فما أحدثه الناس اليوم من الصلاة على سجاجيد ملونة يرسم عليها الكعبة أو غيرها من الصور أمر مخالف للسنة، فالسنة الصلاة على أى بقعة من الأرض دون التزام سجادة، والسنة عدم الصلاة على ما فيه ألوان وأعلام ونقوش كما ورد فى الحديث.

«إن النبى ﷺ صلى فى خميصة لها أعلام فنظر فى أعلامها نظرة، فلما انصرف قال : اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جهم وأئتونى بانبجانيته، فإنها ألهتنى آنفاً عن صلاتى»[1].

---

(١) منتفق عليه وهو مخرج فى الإرواء (٣٧٦). والخميصة هى ثوب خز أو صوف معلم وكانت من لباس الناس قديماً وجمعها الخمائص النهاية ٢/٨١.

والأنبجانية، كساء أنبجانى منسوب إلى منبج المدينة المعروفة وهى كساء ينجد من الصوف وله حمل ولا علم له. النهاية ١/٧٣.

أما إذا كنت تعلمين بنجاسة الأرض التى تصلين عليها فعليك أن تضعى عليها شيئاً تصلين عليه سواء كان سجادة أو غيرها، فإنه ثبت أن رسول الله ﷺ صلى على خُمرة[١].

ولكن لم يكن رسول الله ﷺ يداوم الصلاة عليها، بل ثبت عنه أنه قال : ما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد[٢]. وثبت عنه أيضاً إباحة الصلاة فى مرابض الغنم وفى المقبرة إذا نبشت.

روى عن أنس بن مالك أنه قال :

لما قدم رسول الله ﷺ فكان يصلى حيث أدركته الصلاة، فيصلى فى مرابض الغنم، ثم أمر بالمسجد، قال :

فأرسل إلى ملأ من بنى النجار فجاؤوا، فقال : يا بنى النجار ثامنونى بحائطكم هذا. فقالوا: لا والله ما نطلب ثمنه إلا من الله. قال أنس : فيه قبور المشركين، وكانت فيه خرب وكان فيه نحل. قال فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، قال : « فصفوا النخل قبلة المسجد، وقال : اجعلوا عضاديته حجارة»[٣].

وأحاديث إباحة الصلاة فى أى بقعة من الأرض عامة، يخص منها – أى من عمومها– أحاديث النهى عن الصلاة فى المقابر والحمام ومعاطن الإبل

---

(١) رواه مسلم كتاب المساجد ٢٧٠، وابن خزيمة باب الصلاة على الخمرة ١٠٤/٢ والخمرة هى مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه فى سجوده من حصير أو نسيجة خوص ونحوه من النبات، النهاية٧٢/٢.

(٢) رواه مسلم (١) وابن خزيمة باب ذكر أخبار رويت عن رسول الله ﷺ فى إباحة الصلاة على الأرض كلها بلفظ عام مراده خاص.

(٣) رواه مسلم كتاب المساجد ٩، ابن خزيمة انظر ٥/٢.

وخلف المقبرة[1].

وعليك أختى أن تنتبهى لهذا الأمر وتتبعى سنة محمد ﷺ وتنتهى عما نهاك عنه ففى ذلك خير الدنيا والآخرة.

وإذا كنت بمجلس من المجالس وفرشت لك السجادة لتصلى عليها- وفيها نقوش فلا يمنعك الحياء من رفعها والصلاة على الأرض مادامت طاهرة، وبذلك تكونين قد أحييت سنة وأمت بدعة.

خامسا: الاستعداد باختيار مكان معتدل الحرارة وتجنب الصلاة فى المكان الحار:

إنك أختيى إذا أردت النوم أو الأكل أو استقبال الضيوف فإنك تبحثين عن المكان المعتدل الحرارة - وتبذلين الجهد لتبريده فى الحر، ولتدفيئنه فى البرد وذلك لتؤمنى لنفسك الاستمتاع بالنوم والأكل وغيره.

إلا أنك إذا أردت أداء الصلاة فإنك أحياناً لا تبالين بأن تصلى فى أى مكان، ولسان حالك يقول : خمس دقائق أتحمل فيها الحر ولا تستحق إعمال المكيف أو البحث عن مكان بارد أصلى فيه.

وأنت بذلك قد تحتملين ولكن على حساب خشوعك! فأى استيعاب للركوع أو السجود بل أى استيعاب للقراءة سيكون ! وكأن الصلاة حركات فرض عليك عملها، تؤدينها لتخليص ضميرك فأنت تؤدين الصلاة لترتاحى منها، لا لترتاحى بها.

واعلمى - أختى - أننا فى هذا الزمان زمان البيوت التى تحتفظ بالحرارة - وزمان المكيفات وزمان قلة التحمل وعدم الاعتياد على الحر يذهب خشوعنا

---

(١) انظرى ابن خزيمة ٢/٧٢٦.

أكثر ممن سبقنا من الذين لم يعتادوا على المكيفات، والذين يتحملون الصيام فى الصيف مع شدة الحرارة. ومع ذلك فإن رسول الله ﷺ قد نهاهم عن الصلاة فى شدة الحرارة لعلمه ﷺ بذهاب الخشوع وقلة استحضار القلب فى هذه الحال. وذلك بقوله : «أبردوا بالظهر»[١] .

وحكمة هذه الرخصة – كما قال الإمام ابن القيم – «إن الصلاة فى شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور، ويفعل العبادة بتكره وتضجر، فمن حكمة الشارع ﷺ أن أمرهم بتأخيرها حتى ينكسر الحر، فيصلى العبد بقلب حاضر، ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والإقبال على الله تعالى»[٢].

سادسا: الاستعداد للصلاة فى المكان البعيد عن الإزعاج والضوضاء:

إن المصلى إذا كان بحضرة أناس يتكلمون، قد لا يحضر قلبه ولا يعقل صلاته، فيكون مشغول القلب مشغول العقل، وقد يسمع كلاماً يخصه فيصغى له، وهنا لا يعقل كم صلي ولا ما قرأ ولا بماذا دعا، وإذا عقل ذلك فإنه بالتأكيد محال أن يكون خشع فى صلاته تلك.

فاختارى أختاه لنفسك مكاناً هادئاً بعيداً عن الإزعاج ما استطعت إلى لك سبيلاً.

ولأجل الخشوع فى الصلاة نهى رسول الله ﷺ عن التشويش على المصلى فقال : «إن المصلى يناجى ربه فلينظر بما يناجيه به، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن»[٣].

---

(١) صحيح الجامع. (٢) الوابل الصيب ص١.

(٣) رواه مالك والبخارى فى أفعال العباد هكذا قال الألبانى وقال :بسند صحيح – صفة الصلاة ٨١٥.

فهذا رسول الله ﷺ ينهى عن الجهر بالقراءة لأجل عدم التشويش على المصلى وحفظ الخشوع له.

فإذا أردت أختاه الصلاةَ بحضور قلب وخشوع فالتمسى أقصى مكان فى بيتك وأبعده عن الضجة وحضور الناس ورؤياهم وذلك أفضل فإن أم حميد – رضى الله عنها– روت أنها جاءت إلى النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله ! إنى أحب الصلاة معك؟ قال : قد علمت أنك تحبين الصلاة معى، وصلاتك فى بيتك خير من صلاتك فى حجرتك، وصلاتك فى حجرتك خير من صلاتك فى دارك، وصلاتك فى دارك خير من صلاتك فى مسجد قومك، وصلاتك فى مسجد قومك خير من صلاتك فى مسجدى».

فأمرت – أم حميد– فبُنى لها مسجد فى أقصى شىء من بيتها وأظلمه «وكانت تصلى فيه حتى لقيت الله عز وجل»(١).

سابعا: الاستعداد للصلاة بتفريغ قلبك من كل شغل :

اعلمنى أختى أن القلب يشغل بأمور كثيرة ما بين هم وخوف وحزن وفرح وغيره. فإذا أردت الإقبال على الصلاة فاستعيذى بالله من الشيطان الرجيم،

---

(١) رواه أحمد وابن خزيمة وابن أحبان فى صحيحهما، وبوب عليه ابن خزيمة، اختيار صلاة المرأة فى حجرتها على صلاتها فى دارها وصلاتها فى مسجد قومها على صلاتها فى مسجد النبى ﷺ وإن كانت صلاة فى مسجد النبى ﷺ تعدل ألف صلاة فى غيره من المساجد، والدليل على أن قول النبى ﷺ صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، «إنما أراد به صلاة الرجل دون صلاة النساء». وعلق عليه الشيخ الألبانى ، ورد بأن الفضل عام إلا أن صلاة المرأة فى بيتها أفضل.

انظرى صحيح الترغيب ١٣٥/١ وصحيح ابن خزيمة ٩٤/٣. وعلى أى حال فصلاة المرأة فى بيتها أفضل.

استعاذة قلب لا استعاذة لسان فإن وجدت من نفسك إقبالاً على الصلاة بقلب غافل مشغول فاقرئى آيات من القرآن لم يسبق لك حفظها، والزمى نفسك أن تقرئيها فى الصلاة، وإن كانت هذه الآيات قصيرة كأن تكون آيتين أو ثلاث وذلك فيه إشغال لك عن همك بالحفظ قبل الصلاة، وإشغال لك عن همك بتذكر الآيات فى الصلاة، وحينئذ تجدين نفسك قد أقبلت على الصلاة وانشغلت بها.

وإن لم تستطيعى ذلك لعسر حفظك أو لشدة غفلتك أو لشدة شغلك بهمك فعليك قراءة حديث أو حديثين من أحاديث الترغيب والترهيب- كأحاديث البعث أو الحساب أو النفخ فى الصور أو غيرها - تجعلك تخافين الله وتشغلين بما هو أعظم فتقبلين على الصلاة بقلب خاشع.

وإن لم تنتفعى بذلك فاقرئى من سيرة الصالحين فى صلاتهم مما يشحذ همتك ويدفعك للاقتداء بهم، وابشرى فإنك إذا فعلت ذلك راغبة فى الخشوع لله والخضوع له ومدافعة الشيطان فإن الله سبحانه سيعطيك مرادك وسيقترب منك أكثر مما تقتربين منه كما ورد فى الحديث القدسى عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه قال : يقول الله تعالى :

"أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم، وإن تقرب إلى شبرا، تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلىّ ذراعاً، تقربت إليه باعاً، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة[١].

وسيؤتيك الله أكثر مما رجوت وأعظم وأفضل مما ابتغيت.

---

(١) رواه أحمد والبيهقى والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة وانظرى سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم١٠١.

ثامنا: الاستعداد للصلاة بانتظارها:

إن انتظار الصلاة كما يكون فى المساجد يكون لك - أختى- فى بيتك، فإذا فرغت من عملك ولم يكن عليك واجب لزوجك أو أهلك يشغلك فعليك إذا قارب وقت الصلاة أن تتوضئى وتجلسى فى مصلاك تنتظرى الصلاة تسبحين وتستغفرين وتهللين وتذكرين الله وتستاكين حتى يؤذن المؤذن، فإذا أذن وقلت ما يقول تسألين الله لنبيه الوسيلة ثم ما شاء الله لك من الدعاء، وأنت بهذا تفوزين بخير كثير، دعاء الملائكة لك بالمغفرة والرحمة، ويكتب لك أجر الصلاة مادام هذا حالك حتى تنصرفى أو تحدثى. وهذا الفعل مدعاة للخشوع، حيث يأنس القلب بذكر الله ويستنير بنوره وفعل ذلك أجره عظيم بل هو كالرباط فى سبيل الله.

وإذا كنت قد فعلت ذلك فاحرصى أن تحفظى فى انتظارك للصلاة آيات من القرآن الكريم تكون لك عوناً على الخشوع فى الصلاة التى ستؤدينها. واعلمى أنك إذا قدمت على الصلاة فإن قلبك يكون معلقا بآخر شىء تركتيه أو كنت عليه قبل الصلاة فإذا كان آخر شىء كنت عليه قبل الصلاة ذكر الله والتعلق به فسيكون قلبك معلقا فى الصلاة بالله، وكيف لا يخشع قلب معلق بالله، وهو يقف بين يديه.

أما إذا نهتك نفسك وأبت أن تجلس للصلاة، ولم يكن لديك عمل يشغلك فارغميها على الانتظار وجاهديها حتى تقبل راغمة، فإذ أقبلت اليوم راغمة فستقبل غداً راغبة والله يقول:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) ﴾ [العنكبوت].

واستعينى على مجاهدة نفسك بتذكيرها بفضل انتظار الصلاة الذى جاء فى الحديث:

«لا يزال العبد فى صلاة ما كان فى مصلاه ينتظر الصلاة، والملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، حتى ينصرف أو يحدث. قيل : وما يحدث؟ قال : يفسو أو بضرط»[1].

«ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب» ؟

قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : «إسباغ الوضوء على المكروهات، وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط»[2].

تاسعا: الاستعداد للصلاة بالنظر فى حاجة جسمك الشاغلة لك وقضائها قبل الشروع فى الصلاة :

إن الجسد له متطلبات فالجوع يتطلب الأكل، والعطش يتطلب الشرب، والحقن والحقب يتطلب التخلى وإزالة الأذى، وليس شىء أشد إزعاجاً للمصلى من مدافعة ذلك، فإذا وقع به شغله فإما أن يقطع صلاته أو يتمها بعجلة وألم، فيكون آذى نفسه ولم يتقن صلاته.

ولهذا عد رسول الله ﷺ من صلى وهذا حاله لم يصل حيث قال : «لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافع الأخبثين» [3].

واحذرك أختى الشيطان فإنه يزين لك الصلاة بهذا الحال ليفوت عليك الخشوع وذلك بأن يخوفك فوات الوقت تارة، ويخوفك إعادة الوضوء تارة أخرى، وأنت بين هذا وذاك تستسلمين للشيطان، وتكبرين وأنت تقولين ليست حاجتى

---

(١) رواه مسلم وأبو داود وهو مخرج فى صحيح الترغيب والترهيب ١/١٧٩.

(٢) رواه ابن زحبان فى صحيحه. قال الألبانى صحيح وهو مخخرج فى صحيح الترغيب والترهيب ١/١٨١.

(٣) أخرجه مسلم وأحمد وغيرهما وخرجه الألبانى فى إرواء رقم ٥٥٠.

ماسة، فإذا كَبِّرتِ وألحت عليك حاجتك فلن تستطيعى دفعاً ولا صبراً بل ستعجلين فى صلاتك مفوتة الاطمئنان وهو من الأركان، والخشوع وهو لُب الصلاة والمقصود منها، ولو أنك إذا رأيت «من نفسك هذه العجلة فى الصلاة وعدم الإطمئنان الزمت نفسك إعادة الصلاة لتعلمت أن الصلاة التى يكون هذا شأنها ستعاد فتتركين الصلاة مع الحاجة، وتصلين بعد قضاء حاجتك بخشوع واطمئنان.

وسأنصحك بما يفيدك فى التغلب على نفسك حين كسلها عن إعادة الوضوء والمبادرة للصلاة قبل انتقاض الوضوء.

أولا : تذكرى أنك إذا صليت بهذا الحال فكأنما لم تُصَلِّ وأنك ستعيدين الصلاة. وذلك لما ورد فى الحديث المتقدم « لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافع الأخبثين».

ثانيا: عودى نفسك الوضوء بعد كل حدث، وفائدة ذلك إصابة السنة أولاً، وقطع التحسر على وضوئك ثانياً، فإنك إذا علمت أنك متوضئة بعد الحدث لا محالة سواء أردت الصلاة أم لا فإنك لن تهتمى بنقض الوضوء ولن تتحسر نفسك على وضوئك.

وبذلك يزول من نفسك دافع اغتنام فرصة كونك على وضوء.

ثالثا: باستحضار الأحايث المرغبة فى الوضوء وكثرته وإسباغه.

وأرجو أن تسألى الله بعد هذا كله بأن يمن عليك بالخشوع بين يديه، فهى منة عظيمة من نالها نال السعادة والراحة والهناء.

فإذا خرج العبد من صلاته التى قد خشع فيها فكأنما خرج من نهر قد اغتسل فيه من جميع أوساخه. والله المستعان.

الخشوع أثناء الصلاة

إن أول ما يبدأ به المصلى من صلاته بعد استقبال القبلة والدنو من السترة حتى لا يكون بينه وبينها سوى ثلاثة أذرع حال قيامه وممر شاة حال سجوده- أول ما يبدأ به تكبيرة الإحرام.

أما كيفية الخشوع بتكبيرة الإحرام فإن عليك أيتها المصلية أن ترفعى يديك حذو منكبيك أو حيال أذنيك متوجهة بباطن الكفين إلى القبلة ممدودة الأصابع ضامة لها- تشعرين وأنت بهذا الحال بالاستسلام التام لرب العباد، وتخيلى لو أن لصاً أراد منك أن تذعنى له وتستسلمى، فأمرك برفع يديك ومدها، لارتعدت مفاصلك خوفاً من بغتته لك وبطشه بك، وهو بشر مثلك، فكيف بمن بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه سبحانه، كيف بمن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، يأمرك بأن تستسلمى وتقفى بين يديه ذلا وخضوعاً له رافعة يديك معلنة التسليم التام له. متخلية عن كل شىء فى يديك أو تملكينه فالأمر أعظم من أن تستمسكى بشىء من أمور الدنيا فهذا وقوف بين يدى من بيده كل شىء. كيف يمر عليك التكبير والحال هكذا بسهولة !! ويذهب معنى التكبير ومراده من نفسك وتبقى حركته وإشارة اليدين به، أوليس الله بقادر على أن يأخذك بغتة أتأمنين ذلك، إذا حلق الخيال فى مثل هذه المعانى وأنت ترفعين يديك لتكبيرة الإحرام، فإن الخشوع سيمتلك قلبك والخضوع سيسيطر على جوارحك ولن تنفكى من أن تنطقى تكبيرة من فؤادك معلنة البراءة من كل شىء فالله عندك أكبر من كل شىء.

ولم يأمرك الله بالتكبير والاستسلام إلا ليعلم تسليمك وموافقتك على بيع الدنيا الزائلة بالآخرة الباقية، فله الحمد ما أعظمه وله الحمد ما أكرمه. وحَرِىٌ بنا أن نستسلم طائعين راغبين فرحين مغتبطين.

ثم يحلق العقل في ملكوت الله وبينما هو كذلك إذ تنطلق كلمة التسبيح والحمد لمن هذا شأنه، فتقولين :

«سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك، وتعالى جدك ولا إله غيره».

وأنت فى قيامك هذا تقفين موقف الذليل الخاضع، تضعين يدك اليمنى على اليسرى على صدرك بكل استكانة لمن أوقفك هذا الموقف، وسيوقفك الموقف الرهيب يوم القيامة تنظرين إلى موضع سجودك بكل إطراق وتفكر فيما ترددين من ألفاظ مقتدية بنبيك محمد ﷺ الذى كان «إذا صلى طأطأ رأسه ورمى ببصره نحو الأرض» تخشين» (١) أن ينصرف الله عنك وتستحضرين قوله ﷺ «فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته ما لم يتلفت»(٢) . وقوله «لا يزال الله مقبلا على العبد فى صلاته ما لم يلتفت، فإذا صرف وجهه انصرف عنه»(٣).

وتخيلى أنك ترددين هذه الكلمات بين يدى الله يوم القيامة واقفة بين يديه، والكل ينظر إليك ليعلم أى منقلب تنقلبين وإلى أى دار تصيرين، وإذا بك تسبحين الله تنزيها له عن كل نقيصة، وتحمدينه على كل نعمة وأعظم نعمة هى نعمة الإيمان الذي أوقفك هذا الموقف بين يديه لتنالى رضاه وتفوزى بجناته، ثم تقرين وتعترفين أن كل ما ذكر اسم الله عليه أوفيه تبارك باسمه، وذلك لبركة اسمه، فهذه صلاتك تبدأ بذكر الله فإذا بها يتبارك ثوابها فتكون الحسنة بعشر أمثالها وتكون بعشر صلوات، فأى بركة بعد هذه البركة، وإذا قلت : وتعالى جدك أيقنت

---

(١) حديث صحيح انظرى صفة الصلاة الألبانى حيث خرجه ص٦٩.

(٢) رواه الترمذى والحاكم وصححاه انظرى صفة الصلاة للألبانى ص٧٠ وصحيح الترغيب رقم ٥٥٣.

(٣) رواه أبو داود وغيره وصححه ابن خزيمة وابن حبان انظرى صفة الصلاة ص ٧٠ وصحيح الترعيب رقم ٥٥٥.

أن الله – سبحانه– عال مقامه مستغن بنفسه عن عباده وخلقه.

فإذا تذكرت أن الله يأبي الشرك وهو أغنى الشركاء سارعت لقول : ولا إله غيرك.

فأى كلمات أبلغ من هذه الكلمات فى مثل هذا المقام، وصلى الله وسلم على من قال :

«إن أحب الكلام إلي الله أن يقول العبد سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك»(١).

ولما كان القلب يقسو مما اعتاد سماعه لم يكن رسول الله ﷺ يكتفى بهذا الاستفتاح فقد كان يستفتح الصلاة باستفتاحات متعددة.

فإذا وجدت من نفسك اعتياداً على هذا الاستفتاح حتى أصبحت تقولينه ولا تشعرين إلا بانتهائه لقوة حفظك له، فلا تستشعرين قوله ولا معناه، وبالتالى تضيعين جزءاً من الصلاة بلا خشوع فعليك باستبداله بغيره من أدعية الاستفتاح وذلك كقوله :

«اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثورب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد» وكان يقوله فى الفرض»(٢).

وتخيلى وأنت ترددين هذا الدعاء أنك تقفين بين يدى الله سبحانه وقد جمعت خطاياك منذ كلفت حتى مُت فإذا بها تبلغ زبد البحر. فإذا اليد تشهد، وإذا الرجل تشهد، وإذا اللسان يشهد وإذا الجلد يشهد بما فعلت واكتسبت وأنت

---

(١) رواه أبو داود والطحاوى، قال الألبانى بإسناد حسن انظرى صفة الصلاة ص ٧٤. والجد العظمة

(٢) رواه أبو داود والحاكم، وصححه ووافقه الذهبى انظرى صفة الصلاة ص ٧٢.

تنظرين للنار وتنظرين للخطايا وتتوقعين أنها سائقتك إلى النار، لا محالة، فتستغيثين بالله وتلجئين إليه فارة من ذنوبك تقولين بلهف وشفقة :

اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب وهذا أقصى حد للبعد تعرفينه.

ولا تكتفين بذلك بل تلحين فى الدعاء وتقولين :

اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وذلك خشية أن لا يكفيك بُعد الذنوب عنك وخشية أن يدركك منها شىء. ذلك لعلمك بكثرتها.

وإنما اختير الثوب الأبيض دون غيره، لأن نقاء الأبيض الظاهرى لا يكون إلا بالنقاء الحقيقى باطناً، أما الألوان الأخرى فقد يظهر نقاؤه وهو فى الحقيقة يحتفظ بشىء من الدنس فى باطنه ثم لا تكتفين بذلك بل تطلبين النقاء التام فتسألين الله أن يطهرك بالغسل بالماء والثلج والبرد.

تخيلى نفسك تلحين بهذا الدعاء يوم القيامة، فإذا تخيلت ذلك وأنت تقرئينه فى الصلاة فتخشعين بلا ريب. فإذا اعتادت نفسك على هذا الدعاء وهذا الاستفتاح فاستبدليه بغيره كقوله :

«الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا»[١] . وإذا قرأت هذا الاستفتاح فتذكرى أن أبواب السماء تفتح لها- كما ورد فى الحديث أن رجلا من الصحابة استفتح بها فقال رسول الله ﷺ : « عجبت لها فتحت لها أبواب السماء»[٢] .

أبواب السماء التى لا تفتح إلا للملائكة الأبرار والمؤمنين الأخيار تفتح لكلمات قلتيها فى صلاتك.. سبحان الله .. أبواب السماء بعظمتها تفتح بكلمات

(١) رواه مسلم وأبو عوانة وانظرى صفة الصلاة ص ٧٤.

(٢) المصدر نفسه.

يقولها العبد فى صلاته، كيف تعلمين أن أبواباً تفتح بكلمات تقولينها ويبدو لك الكنز العظيم، فتتركين استغلال الفرصة بصعود كلمات أخرى تسألين الله فيها خير الدنيا والآخرة، فليست تفتح أبواب السماء لكل كلمة وليست تفتح لأى أحد، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ۝٤٠ ﴾ [الأعراف].

فالأمر ليس بالهين فكم ملك لا تفتح له أبواب السماء وكم غنى لا تفتح له أبواب السماء، وأنت تفتح لك بكلمات، ولكن هذه الكلمات لابد من الإخلاص فيها لابد أن تخرج من قلب واع، صادق مؤمن.

وإن وجدت من نفسك اعتياداً على هذه الاستفتاحات فاستبدليها بغيرها مما ورد فى السنة الصحيحة أسوقها إليك هنا ليسهل عليك استحضارها وقت الصلاة وحفظها.

«وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً [مسلماً] وما أنا من المشركين، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك، لا إله إلا أنت [سبحانك وبحمدك] أنت ربى وأنا عبدك، ظلمت نفسى، واعترفت بذنبي، فاغفر لى ذنبى جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدنى لأحسن الأخلاق، لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله فى يديك، والشر ليس إليك [والمهدى من هديت] أنا بك وإليك، [لا منجا ولا ملجأ منك إلا إليك] تباركت وتعاليت استغفرك وأتوب إليك»[(١)].

(١) رواه النسائى قال الألبانى بسند صحيح صفة الصلاة ص٧٣.

«اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد ، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، [ولك الحمد ، أنت ملك السموات والأرض ومن فيهم]، ولك الحمد ، أنت الحق، ووعدك حق، وقولك حق، ولقاؤك حق، والجنة، والنار حق، والساعة حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت، وعليك توكلت، وبك آمنت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، [أنت ربنا وإليك المصير، فاغفر لى ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت]، [وما أنت أعلم به منى]، أنت المقدم وأنت المؤخر، [أنت إلهى] ، لا إله إلا أنت»[١].

«اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم»[٢].

ثم استعيذى بالله من الشيطان الرجيم مستحضرة معنى الاستعاذة، وهو اللجوء إلى الله والاعتصام به، فأنت تريدين الخشوع فى صلاتك والشيطان يتربص لك ليوسوس لك، فإذا أردت النجاة من الشيطان ووسوته فالجئى إلى الله فهو يكفيك، وتأكدى من كفاية الله لك ما دمت قلت ذلك مؤمنة موقنة بقدرة الله وغلبته وملكوته.

والصيغة التى يسن لك أن تستعيذى بها هى « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه، ونفخه، ونفثه»[٣] .

وكان أحيانا يستعيذ بقول : «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو عوانة وأبو داود وابن نصر والدارمى خرجه الألبانى فى صفة الصلاة ص ٧٥، وما بين القوسين زيادة من بعض الروايات تنسجم معه وهى عن صحابى واحد راجعى مقدمة صفة الصلاة.

(٢) رواه مسلم وأبو عوانة صفة الصلاة ٧٦ كما أن هناك غيرها من الاستفتاحات.

(٣) صحيح. قاله الألبانى، وهو مخرج فى إرواء العليل رقم ٣٤٢.

الرجيم من همزه ونفخه ونفثه»[1].

ثم سمى الله قائلة وبسم الله الرحمن الرحيم - ومرادك بذلك أنك تبدئين صلاتك باسم الله وتثنين بالثناء عليه بصفاته التى تليق بجلاله.

وكل ذلك تقولينه فى سرك - الاستفتاح والاستعاذة والبسملة. ثم تبدئين قراءة سورة الفاتحة بتلاوة حسنة تحسنين صوتك بها وتخشعين فيها.

والطريق إلى الخشوع فيها هو بأمور :

* قراءتها آية آية، أى تقرئين آية ثم تسكتين ثم تقرئين الآية التى بعدها، وذلك اقتداء برسولنا محمد ﷺ .

* استشعرى وأنت تقرئين كل آية أنك تخاطبين الله سبحانه ويرد عليك كل آية، فإذا قلت الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى : حمدنى عبدى، وإذا قلت: الرحمن الرحيم. قال الله تعالى : أثنى على عبدى. وإذا قلت : مالك يوم الدين، قال الله تعالى : مجدنى عبدى، وإذا قلت : إياك نعبد وإياك نستعين، قال الله تعالى : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، وإذا قلت ، إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال الله تعالى : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل[2].

وأنت فى قراءتك للفاتحة تسكتين وتستحضرين الرد فى كل آية فتكونين بذلك مشغولة الذهن. بما يزيدك خشوعاً وطمأنينة.

واحرصى على التأمين بقولك آمين بعد قراءة الفاتحة، فإن معناها اللهم استجب. وإذا كنت فى جماعة وأَمَّنْتِ عند تأمين الإمام فوافق تأمينك تأمين الملائكة غفر لك ما تقدم من ذنبك.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ثبت ذلك فى صحيح مسلم رواه مسلم وغيره انظرى صفة الصلاة ص ٧٨.

وقد ورد ذلك فى الحديث الصحيح المتفق عليه.

«إذا قال أحدكم فى الصلاة «آمين» والملائكة فى السماء «آمين» فوافق أحدهما الآخر- غفر له ما تقدم من ذنبه.

ثم اقرئى بعد الفاتحة سورة أو آيات بحسب ما يتيسر لك وإذا أردت تحقيق الخشوع فى صلاتك، فإن أهم ما يمكنك من الخشوع ويزيدك استشعاراً به قراءتك فى قيامك، واجتهدى أن تفعلى ما يلى :

* أن تراعى حالك قبل الصلاة فإن كنت مهمومة قلقة فاقرئى آيات تفيدك بمعنى تفريج الله لعبده الصابر، وإن كنت حزينة على دنيا فاتتك فاقرئى ما يزهدك فيها ويصور لك سرعة زوالها، وإن كنت تشعرين بالملل من الحياة وأنت مع ذلك تقصرين فى أداء واجباتك فاقرئى ما يحثك على السعى والكسب، وإن كنت خائفة من تقصيرك وتخشين اليأس فاقرئى آيات رحمة الله وتوسعته على عبده بالعفو عنه، وإن كنت فى حال مواساة فى فقر أو لديك ميت حبيب لك قريب منك فاقرئى آيات نعيم الجنة ووصفها، وهكذا.

* وأنت فى ذلك تحرصين على القراءة المرتلة تقفين عند كل آية. فإن كانت آية رحمة ونعيم سألت الله من رحمته، وإن كانت آية عذاب استعذت بالله منها، وإن كانت صفة من صفات الله سبحانه، وكبرته، وإن كانت آية نعمة من نعم الله منَّ بها على عباده حمدته على ذلك، وهكذا كانت قراءة رسول الله ﷺ فقد «كان إذا قرأ ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى﴾ قال : سبحانك فبلى، وإذا قرأ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال : سبحان ربى الأعلى»(١).

* وقد كانت قراءته ﷺ ترتيلاً لا هذًّا ولا عجلة، بل قراءة مفسرة حرفاً

---

(١) رواه أبو داود والبيهقى بسند صحيح، قاله الألبانى صفة الصلاة ص٥٦.

حرفاً[١]، حتى « كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها »[٢] .

* كما عليك أن تحسنى صوتك بالقرآن فإن رسول الله ﷺ قال : « زينوا القرآن بأصواتك [فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا][٣] .

واعلمى أن حسن الصوت بالقرآن ليس هو تلك النغمات التى قد تخرج القرآن عن معناه كالمد فى غير موضع المد، أو زيادة الغنة للحرف أكثر من حقه، إنما حسن الصوت هو خفض الصوت فى مواضع الخوف والبكاء والتباكى، وإظهار معنى الآيات بحيث يشد السامع للآيات كأنما يخاطب هو بها، وقد قال ﷺ «إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذى إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله»[٤].

والحرص على المد فى مواضعه يزيد القراءة حسناً وكانت قراءة رسول الله ﷺ مدا[٥].

واحرصى أن تطيلى فى هذه القراءة بقدر ما تستطيعين، وذلك ليرق قلبك وتزدادين خشوعاً، كما أن طول القراءة وطول القيام أفضل الصلاة وقد قال ﷺ: « أفضل الصلاة طول القيام »[٦].

---

(١) رواه ابن المبارك فى الزهد، وأبو داود وأحمد بسند صحيح، قاله الألبانى، صفة الصلاة ص ١٠٥.

(٢) رواه مالك ومسلم.

(٣) رواه البخارى تعليقا، وأبو داود والدارمى، والحاكم، وتمام الرازى بسندين صحيحين، قاله الألبانى صفة الصلاة ص ١٠٦.

(٤) قال الألبانى : حديث صحيح رواه ابن المبارك فى الزهد، (١/١٦٢) من الكواكب ٥٧٥ والدارمى. وابن نصر والطبرانى وأبو نعيم فى أخبار أصبهان والضياء فى المختارة، انظرى صفة الصلاة ١٠٦.

(٥) راجعى صفة الصلاة ص ١٠٥.

(٦) رواه مسلم والطحاوى.

* عليك بتفهم ما تقرئين فما دعاك الله لفعله، تعزمين على فعله والمسارعة إليه، وما دعاك لتركه ونهاك عنه، تعزمين عى تركه والبعد عنه، وهذا هو التدبر الذى أمر الله به حيث قال :

﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) ﴾ [محمد].

وقال : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ [النساء].

واعلمى أنك إذا أردت الخشوع فى الصلاة فعليك بإزالة الأقفال التى على قلبك، وإذا أردت إزالة هذه الأقفال ، فإنها لا تُزال إلا بالتدبر لآيات الله.

يقول الحارث المحاسبى :

«وليكن الأصل الذي تطالب من نفسك من الفهم إعظام الله – سبحانه– فى قلبك وإجلاله، فإذا قرأت آية فيها تعظيم له أو تنزيه أو خبر عمن كذب عليه فإن استطعت أن تموت فمت، وروى عن إبراهيم النخعى أنه كان إذا مر بمثل قوله تعالى : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ﴾ خفض بها صوته تنزيها وخضوعاً للبارى تعالى من كل شىء ذلك لأن قلب المصلى منير بالصلاة يزداد بها بصائر.

والذى يصلى ويفهم ما يقرأ ليعرف خطأه وصوابه وعيوبه ونعم الله عليه وكيف شكره وكيف خوفه وحزنه على دينه لأنه يتلو الدلائل على ذلك كله والداعى إليه.

وينبغى أن يخاف أن يكون ممقوتاً إذ يجد نفسه مخالفة لأشياء من الطاعات وعاملة لأشياء من المعاصى قد اشتبهت عليه، أو ناسياً الرحمة إذ لابد أن تكون عمل طاعة قد منّ الله عز وجل بها فتشكره عليها. فكفى للنفس زاجراً تفهم ما تتلو إذا تفكر العبد وتثبت.

قال الحسن : «من أحب أن ينظر ما هو فليعرض نفسه على القرآن». والمرتل فى صلاته مع ما يناله من الرقة وصلاح قلبه لن تخلو من فائدة تلاوته إما معنى تنبه له عقله، أو علم يفيده، أو بصيرة فى دينه، ولن يخلو من حجة له أو عليه ...»[1].

"إن فى الصلاة فرصة لتعلم القرآن وحفظه حيث حثنا على ذلك رسول الله ﷺ قال : « تعلموا كتاب الله وتعاهدوه واقتنوه، وتغنوا به، فوالذى نفسى بيده، لهو أشد تفلتاً من المخاض فى العقل»[2].

ولكى تحوزى على الخشوع فى الصلاة أقول لك : إياك أن تجعلى قراءتك للآيات مقصورة على قصار السور طوال عمرك، وأنت قادرة على الحفظ فإن الحفظ يورث من الخشوع ما لا يوصف وذلك أنك إذا حرصت على قراءة جديدة من حفظك فى صلاتك، فإن صلاتك سيكون لها فى نفسك أثر آخر وذلك أنك ستشعرين بمغالبة نفسك وشد ذهنك إلى ما حفظته حديثاً، لأنك لا تستطيعن استحضاره بدون ذهن مركز على التذكر، وفى ذلك تستطيعين بكل سهولة التخلص من التفكير فى غير الصلاة. أما ما حفظته من قصار السور واعتاد عليه لسانك فإنك تستطيعين قراءته بكل سهولة وذلك لأنه لا يحتاج إلى تذكر ولا إلى ذهن حاضر. وبهذا ينطلق لسانك بقراءة قصار السور فى الصلاة بينما ينطلق عقلك فى واد آخر، فلا تشعرين بمعانى الآيات ولا تدركين خشوعاً فى صلاتك.

وإذا كنت عازمة على تعلم القرآن وحفظه فأحسن وسيلة لذلك وأسهلها أن تجلسى فى مصلاك قبل الصلاة بعشر دقائق وتحفظى آيتين أو ثلاث بما يعادل

(١) فهم الصلاة ص٥٧.

(٢) رواه الدارمى وأحمد بسند صحيح قاله الألبانى صفة الصلاة ص ١٠٦، والمخاض الإبل، والعقل: الحبل الذى يربط به البعير.

سطرين أو ثلاثة أو أربعة، وإذا حفظت هذه الآيات فاقرئيها فى صلاتك، وبهذا تحوزين أجر انتظار الصلاة، وأجر الحفظ، وأجر الخشوع حيث تخشعين بما تقرئين من حفظك الجديد أكثر من خشوعك بما اعتدت على حفظه من قصار السور، وقبل أن تبدئى بذلك أذكرك أن لك بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكنه ألف حرف ولام حرف وميم حرف، فإذا تذكرت ذلك أقبلت بهمة ونشاط وحرص، واعلمى أنك لو فعلت ذلك لاستطعت حفظ القرآن فى سنتين، ثم إذا حفظت فعليك بتحرى اتباع السنة فى القراءة فى الصلاة كقراءة الأعراف فى المغرب، وقراءة السجدة والدهر فى فجر الجمعة، وقراءة المؤمنون فى الفجر وهكذا »[1].

الخشوع فى الركوع :

ثم إذا هممت بالركوع بعد انتهاء القراءة ترفعين يديك حذو منكبيك أو حيال أذنيك، وتكبرين استسلاماً لله سبحانه حيث أمرك بالركوع واستجابة الله، وفى ذلك تتفكرين، كيف أن الله تعالى أمرك بالوقوف بين يديه فقدمت خاضعة مستسلمة، وأمرك بالركوع والإنحناء لعظمته فركعت خاضعة مستسلمة، وتتفكرين فى التكبير حيث الله أكبر من كل شىء أكبر منك حيث أخضعك لجلاله وأكبر من أى عظيم أو كبير فالكل لابد أن يخضع له ويذل له اعترافاً بربوبيته وألوهيته.

ثم لا تملكين بعد هذا التكبير إلا أن تقولى سبحان ربى العظيم، وإذ قلت هذه الكلمة فتخيلى الملك الموكل بأعمالك يحسب كم تعظمين الله، فإذا عظمت الله ثلاث مرات واستشعرت أحداً يكتب ويحسب عن يمينك فلن ترفعى بل ستزداد نفسك حرصاً أن تفتخر عند الملك بأنها تعظم الله كثيراً، فإذا بك

(١) تجدى الكلام على القراءة مفصلا بالأدلة الثابتة فى صفة الصلاة للألبانى ص٨٩-١٠٤.

تعظمين الرابعة فإذا أردت الرفع جذبتك نفسك إلى الخامسة حتى يكتب الملك لك ذلك وهلم جراً إلى ما شاء الله .. وما أعظمه من ركوع تكونين فيه على هذا الحال. وتذكرى نعم الله عليك فسبحيه عليها واحمديه ثم أسأليه المغفرة فأعمالك لا تواجه نعمائه، مع ما عندك من الذنوب، وذلك بقول ما ورد عن النبى ﷺ : «سبحانك الله وبحمدك اللهم اغفر لى».

واجتهدى وأنت فى الركوع بتعظيم الله بجميع أنواع التعظيم لقوله ﷺ : «فأما الركوع فعظموا فيه الرب»[1] .

ومن أنواع التعظيم الذى كان يعظم به رسول الله ﷺ فى الركوع ما يلى – أورده لتحفظيه ويسهل عليك استرجاعه.

١- «سبوح قدوس رب الملائكة والروح»[٢].

٢- «اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، [أنت ربى] خشع لك سمعى وبصرى، ومخى وعظمى (وفى رواية : عظامى) وعصبى. [وما استقلت به قدمى لله رب العالمين][٣].

٣- «اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، وعليك توكلت، أنت ربى ، خشع سمعى وبصرى ودمى ولحمى وعظمى وعصبى لله رب العالمين»[٤].

٤- «سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»[٥].

واحذرى أخيتى- أن تقرئى شيئاً من القرآن فى ركوعك أو سجودك وذلك لنهيه ﷺ حيث «كان ينهى عن قراءة القرآن فى الركوع والسجود»[٦].

(١-٢) رواه مسلم وأبو عوانة.

(٣) رواه مسلم وأبو عوانة والطحاوى والدارقطنى.

(٤) رواه النسائى بسند صحيح قاله الألبانى صفة الصلاة ص ١١٤.

(٥) رواه أبو داود والنسائى بسند صحيح قاله الألبانى صفة الصلاة ص ١١٤.

(٦) رواه مسلم وأبو عوانة.

وإذا سبحت الله ونزهته بما هو أهله فارفعى رأسك وأنت وجلة في تقصيرك فى التعظيم وتخشين عدم القبول، فإذا قلت : سمع الله لمن حمده ورفعت يديك حذو منكبيك اطمأن قلبك بأن الله كان يسمع حمدك ولن تُبخسى شيئاً فتحمدين الله على ذلك قائلة : «ربنا ولك الحمد» ، حمداً على حمدك إياه وحمداً على سماعه لك. لذا فلا يليق بالله على هذه النعمة إلا حمد عظيم ليس بعده حمد فتقولين «ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد» حمد عظيم حمد به خير المرسلين فلا يفوتك أن تتذكرى وأنت تحمدين الله به أنه لا يقابل آلاءه ولا يوازى نعمه وذلك حق الله وهو أهله فتقولين: «أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد» وهذا المقام مقام الربوبية مقام مستحق العبودية مقام الله الذى لا إله معه ولا ند له.

وذلك وارد عن رسول الله ﷺ قال ﷺ «ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، [اللهم] لا مانع لما أعطيت [ولا معطى لما منعت]، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[1].

وتذكرى أن الملائكة يصطفون لسماع حمدك ويبتدرونه أيهم يكتبه، فقد قال رجل من الصحابة كان يصلى خلف رسول الله ﷺ «ربنا لك الحمد، حمدا كثيراً طيباً مباركاً فيه. وذلك بعد أن قال رسول الله ﷺ سمع الله لمن حمده فلما انصرف رسول الله ﷺ قال «من المتكلم آنفا؟» فقال الرجل : أنا يارسول الله فقال رسول الله ﷺ لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا»[2].

---

(١) رواه مسلم وأبو عوانة وأبو داود.

(٢) رواه البخارى وأبو داود ومالك.

الخشوع فى السجود :

وأنت بعد هذا الخضوع بالإنحناء له وبعد القيام بين يديه تنظرين إلي الأرض وبصرك مرتكز على موضع سجودك لا تلتفتين يميناً ولا شمالاً ثم تهوين بعد ذلك على الأرض مكبرة الله سبحانه وتعالى معلنة الاستسلام لهذا النوع من الخضوع فهو أشد من الأولين.

ثم تمكنين مجمع محاسنك ومحل احترامك من الأرض لرب العالمين طاعة واستجابة لأمره، وذلا وخضوعاً بين يديه، فأنت تعلمين أن نعمه عظيمة، وأن آلاءه جسيمة فلا تملكين لها شكرا، وتجدين نفسك الأمارة بالسوء تقابل ذلك بالمعاصى، ولا تجدين ما تقتربين به إلى الله وما تعتذرين به إليه إلا بالسجود بين يديه فيكون خرورك إلى الأرض وتمكينك لأعضائك أثناء السجود تمكين الخائف من ربه، الراغب فيما عنده المبتغى رضاه، الطامع فى رحمته وعفوه، فلا شىء أقرب إلى الله من السجود، ولا موضع لإجابة الدعاء أقرب من السجود، ولا عمل يغفر الذنوب ويزيد الحسنات ويرفع الدرجات مثل السجود، فقد قال تعالى ﴿ واسجد واقترب ﴾ [سورة العلق]

وقال ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء [فيه][1].

وإذا علمت أن سجودك علامة عليك يوم القيامة يبقى أثره حتى لو أدخلت النار لازداد حرصك على السجود وأقبلت عليه راغبة ممتنة لمن تسجدين له، قال ﷺ ما من أمتى من أحد إلا وأنا أعرفه يوم القيامة، قالوا : وكيف تعرفهم يارسول الله في كثرة الخلائق؟ قال : أرأيت لو دخلت صبرة فيها خيل دُهم بُهم وفيها فرس أغر محجل أما كنت تعرفه منها؟ قال : بلى. قال : فإن أمتى يومئذ

(١) رواه مسلم وأبو عوانة والبيهقى وهو مخرج فى الإرواء ٤٥٦.

غر من السجود، محجلون من الوضوء»[١].

«وقال : إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، فأمر الله الملائكة أن يخرجوا من يعبد الله، فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود»[٢].

وإن من فضل الله عليك أن جعل السجود فى الصلاة أكثر من الركوع، وذلك لعلمه بحال عبده وحاجته إليه، فالعبد فى السجود يسأل الله ويدعوه بما شاء، فاكثرى من سؤال الله فى سجودك وتذكرى فيه كل ما تحتاجينه من أمور الآخرة ومن أمور الدنيا، فإن رسول الله ﷺ كان يقول : «وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم[٣] أى حرى أن يستجاب لكم.

وإن من فضل الدعاء فى السجود الدعاء بما كان يدعو به ﷺ فقد كان يذكر الله ويثنى عليه بما يتناسب مع وضع الساجد، فهو فى أدنى مكان والله سبحانه فى أعلى مكان لذلك كان يقول « سبحان ربى الأعلى» ويكررها ثم يدعو بالمغفرة فيقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم أغفر لى»[٤].

وكان أيضاً يقول : « اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، [وأنت ربى] سجد وجهى للذي خلقه وصوره [فأحسن صوره] وشق سمعه وبصره [فـ] تبارك الله أحسن الخالقين»[٥].

---

(١) رواه أحمد بسند صحيح، والترمذى بعضه وصححه، قاله الألبانى، صفة الصلاة ص ١٣١.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) رواه مسلم وأبو عوانة.

(٤) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

(٥) رواه مسلم وأبو عوانة والطحاوى والدارقطنى.

ويقول : «اللهم اغفر لى ذنبى كله، دقه وجله، وأوله وآخره وعلانيته وسره»(١).

ويقول : «سجد لك سوادي وخيالى، وآمن بك فؤادى، أبوء بنعمتك علىّ، هذى يدى، وما جنيت على نفسى»(٢).

ويقول : « سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»(٣).

ويقول : « سبحانك [اللهم] وبحمدك، لا إله إلا أنت»(٤) .

ويقول : « اللهم اغفر لى ما أسررت وما أعلنت»(٥).

ويقول : « اللهم اجعل فى قلبى نوراً [وفى لسانى نوراً] ، واجعل فى سمعى نوراً، واجعل فى بصرى نوراً ، وعن يمينى نوراً، وعن يسارى نوراً واجعل أمامى نوراً، واجعل خلفى نوراً، [واجعل فى نفسى نوراً]، وأعظم لى نورا »(٦).

ويقول : « اللهم [إنى] أعوذ برضاك من سخطك، و[أعوذ] بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»(٧).

وعليك – أخيتى– إذا أردت الخشوع أن تحفظى هذه الأذكار، تقولينها فى سجودك تارة هذا وتارة ذاك. ولا تقتصرى عليها بل اسألى الله ما أنت بحاجته حتى ولو كان الذى تحتاجينه الملح فى الطعام.

---

(١) رواه مسلم وأبو عوانة.

(٢) رواه ابن نصر والبزار والحاكم وصححه، صفة الصلاة ص ١٢٨ .

(٣) رواه أبو داود والنسائى بسند صحيح، قاله الألبانى صفة الصلاة ص ١٢٨.

(٤) رواه مسلم وأبو عوانة والنسائى وابن نصر.

(٥) رواه ابن أبى شيبة والنسائى وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٦–٧) رواه مسلم وأبو عوانة وابن أبى شيبة.

ثم إذا أردت الرفع من السجود فتذكرى أنك تفارقين أقرب الأماكن إلى الله وهو أقرب أحوالك إلى الله. ترفعين من حال تبشير فيه حزنك وهمك إلى الله وهو يستمع إليك لا يلتفت عنك ما دمت مقبلة عليه.

وبذلك يكون رفعك من السجود يتثاقل كأنما تجرين منه جراً وذلك لرغبتك فى الدعاء فيه، ثم تكبرين حال رفعك موقنة أن الله أكبر من كل شىء فهو القادر على إجابة دعائك، ثم تجلسين مفترشة قدمك اليسرى ناصبة قدمك اليمنى، أو مقعية على عقبيك وصدور قدميك تسألين الله المغفرة قائلة « رب اغفر لى رب اغفر لى »[1] .

وتكررينها متخيلة كثرة ذنوبك حتى تبلغ جلستك فى طولها السجدة أو تقولين :

«رب اغفر لى وارحمنى وأجرنى وارفعنى واهدنى وعافنى وارزقنى»[2]. وتستحضرين فى دعائك هذا أنك مذنبة تحتاجين المغفرة، مسكينة تحتاجين إلى الرحمة. كسيرة تحتاجين الجبر، وضيعة تحتاجين الرفع، ضالة تحتاجين الهداية، مريضة مبتلاة تحتاجين العافية، فقيرة تحتاجين الرزق.

ثم تخرين السجود لتعاودى التسبيح والدعاء مرة أخرى وتفعلين كالسجدة الأولى تلحين فى الدعاء عالمة أنه سبحانه يحب الملحين فى الدعاء.

ثم إذا رفعت من سجودك وجلست جلسة قصيرة تستريحين فيها قبل القيام ، قمت وشرعت فى الركعة الأولى متحرية الخشوع فيها كما تحريت فى الركعة الأولى.

---

(١) رواه ابن ماجه بسند حسن قاله الألبانى صفة الصلاة ص ١٣٥.

(٢) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه ووافقه الذهبى.

الخشوع فى التشهد :

ثم إذا بلغت التشهد، وجلست له، فعليك أن تستحضرى أنك تلقين بين يدى الله كلمات عظيمات علمها رسول الله ﷺ لأمته، وتلقين التحيات بجميع أنواعها الحسنة لله - سبحانه وتعالى - فهو المستحق لذلك، كما تعترفين بأن الملك له وحده حيث التحية تكون غالبا للملوك، فالله سبحانه ملك الملوك لذا فله جميع التحيات.

وأنت حين تلقين التحية عليك أن لا تلتفتى عنه- جل وعلا- بل تجتهدين فى مدافعة نفسك أن تحيد أو تنصرف وهى تلقى التحية بين يدى الله وجلاً أن يغضب الله عليها ولا يقبل منها.

وتعترفين بأن جميع الصلوات لله فلا أحد يستحق أى نوع من أنواع الصلوات سواء الفعلية أو القولية سواه سبحانه وتعالى .

وكذلك جميع أنواع الطيبات من أقوال وأفعال لله سبحانه هو الذى يستحق أن تصرف له.

ثم تنتهين بإلقاء التحية على رسول الله ﷺ وأنت مستحضرة أنه يرد عليك سلامك وهو فى قبره، ترد عليه روحه حين يرد عليك، ثم تسلمين على عباد الله الصالحين جميعاً من الملائكة والأنس والجن وتستحضرين كرم الله عليك حيث يؤتيك الأجر بكل من سلمت عليه، ثم تكررين إخلاصك خاتمة به فتشهدين أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتشهدين أن محمداً عبده ورسوله، فأنت شهدت بالفعل بألوهيته- سبحانه- حيث أئتمرت بما أمرك به، وتشهدين بالقول بألوهيته ووحدانيته، وتشهدين بالفعل برسالة محمد ﷺ حيث تابعته وأديت سنته، وتشهدين بالقول بأن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

ثم تصلين على النبى ﷺ كما أمرك الله سبحانه بذلك حيث قال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾ [الأحزاب].

وصلاتك عليه ﷺ اعترافا بفضله عليك حيث كان سبب هدايتك لهذا الدين القويم والصراط المستقيم الذى أنقذك به من عذاب النار.

ثم تستعيذين بالله من أربع تجعلينها نصب عينيك دائماً فى كل حين وعلى كل حال:

عذاب النار – عذاب القبر– فتنة المسيح الدجال– فتنة المحيا والممات.

ثم تسألين الله بعد ذلك من خير الدنيا والآخرة وذلك قبل السلام، كما ورد فى سنة محمد ﷺ ، أما جعل الدعاء بعد السلام فهو خلاف السنة، وفى ذلك قال الإمام شمس الدين ابن القيم :

«وعامة الأدعية المتعلقة بالصلاة إنما فعلها فيها، وأمر بها فيها، وهذا هو اللائق بحال المصلى، فإنه مقبل على ربه، يناجيه مادام فى الصلاة.، فإذا سلم منها، انقطعت تلك المناجاة، وزال ذلك الموقف بين يديه والقرب منه، فكيف يترك سؤاله فى حال مناجاته والقرب منه، والإقبال عليه، ثم يسأله إذا انصرف عنه؟! ولا ريب أن عكس هذا الحال هو الأولى بالمصلى، إلا أن ها هنا نكتة لطيفة، وهو أن المصلى إذا فرغ من صلاته، وذكر الله وهلله وسبحه وحمده وكبره بالأذكار المشروعة عقيب الصلاة، استحب له أن يصلى على النبى ﷺ بعد ذلك ويدعو بما شاء، ويكون دعاؤه عقيب هذه العبادة الثانية، لا لكونه دبر الصلاة، فإن من ذكر الله وحمده واثنى عليه، وصلى على رسول الله ﷺ استحب له الدعاء عقيب ذلك. كما فى حديث فضالة بن عبيد إذا صلى أحدكم، فليبدأ بحمد

الله والثناء عليه، ثم ليصل على النبى ﷺ ثم ليدع بما شاء[1] «قال الترمذى حديث صحيح» ا.هـ[2].

وإذا علمت السنة فى جعل الدعاء بعد الصلاة قبل السلام، فاختارى من الدعاء ما تشائين، والأفضل أن يكون دعاؤك بدعاء رسول الله ﷺ . أسوق لك بعضه ليسهل عليك حفظه ومراجعته قبل الصلاة.

«اللهم إنى أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل»[3]. « اللهم حاسبنى حساباً يسيراً»[4].

«اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحينى ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفنى إذا علمت الوفاة خيراً لى، اللهم إنى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق فى الرضا والغضب وأسألك القصد فى الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلي وجهك، والشوق إلى لقائك فى غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين»[5].

«اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك، وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم»[6].

---

(١) رواه الترمذى وأبو داود والنسائى وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٢) زاد المعاد ١/٢٥٦.

(٣) رواه النسائى بسند صحيح وابن أبى عاصم فى كتاب السنة قاله الألبانى صفة الصلاة ص ١٦٤.

(٤) رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبى.

(٥) رواه النسائى والحاكم وصححه ووافقه الذهبى.

(٦) رواه البخارى ومسلم.

«اللهم إنى أسألك من الخير كله [عاجله وآجله]، ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله [عاجله وآجله] ، ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل. وأعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل وأسألك من خير ما سألك عبدك ورسولك [محمد)، وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ و[أسألك] ما قضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته [لى] رشدا » [1].

«اللهم اغفر لى ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت وما أسرفت، وما أنت أعلم به منى، أنت المقدم، وأنت المؤخر لا إله إلا أنت»[2].

ويسن لك أن تشيرى بأصبعك السبابة معلقة وبالإبهام والوسطى قابضة للخنصر والبنصر، أو قابضة لأصعابك جميعها ما عدا السبابة مع كل دعوة تدعين بها.

ثم إذا انتهيت من الدعاء فسلمى عن يمينك تحية تخيلى أن من على جانبك الأيمن يردها، ثم سلمى عن شمالك تحية تخيلي أن من على جانبك الأيسر يردها من الملائكة والجن والإنس، وإذا فعلت ذلك فقد انتهيت من صلاة خاشعة مطمئنة أجرها عظيم، واستغفرى الله بعد سلامك خشية أن تكونى قصريت فى أداء الصلاة كما ينبغى ثم اشرعى فى الأذكار الواردة بعد السلام - وهى :

« اللهم أنت السلام ومنك السلام تبارك ياذا الجلال والإكرام»[3].

---

(١) رواه أحمد والطيالسى والبخارى فى الأدب المفرد وابن ماجه والحاكم وصححه ووافقه الذهبى، وخرجه الألبانى فى الصحيح رقم ١٥٤.

(٢) رواه مسلم وأبو عوانة.

(٣) رواه مسلم ، وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وأحمد، انظرى تخريجه فى زاد المعاد ٢٩٥/١ حاشية.

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد».[1]

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»[2].

ويسن لك أن تقرئى آية الكرسى دبر كل مكتوبة فقد قال : ﷺ : «من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»[3] .

كما يسن لك بعد الصلاة أن تسبحى ثلاثاً وثلاثين وتحمدى ثلاثاً وثلاثين وتكبرى ثلاثاً وثلاثين وتقولي تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير[4] . أو تتمى المائة بتكبيرة فيكون التكبير أربعاً وثلاثين. وبذلك تكونين قد أتممت صلاة خاشعة مطمئنة قد عملت فيها بسنة رسول الله ﷺ حيث قال : «صلوا كما رأيتمونى أصلى»[5] .

وكما ذكرت لك سالفاً أن قراءة ما كان عليه السلف فى خشوعهم يدفع فى النفس الهمة ويعينها، وسأذكر لك من أحوالهم ما تيسر لى وأرجو أن ينفعك الله به.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما انظرى تخريجه في زاد المعاد ١/٢٩٦ حاشية.

(٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائى، انظرى تخريجه في زاد المعاد ١/٢٩٧ حاشية.

(٣) رواه ابن حبان وقال الأرنؤوط إسناده صحيح وهو مخرج فى زاد المعاد ١/٣٠٣.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخارى.

خشوع السلف

«كان على بن الحسين إذا فرغ من وضوئه للصلاة، وصار بين وضوئه وصلاته أخذته رعدة ونفضة، فقيل له فى ذلك ، فقال : ويحكم أتدرون إلى من أقوم، ومن أريد أن أناجى»[١].

« ذكر عن محمد بن المنكدر أنه بينا هو ذات ليلة قائم يصلى استبكى وكثر بكاؤه حتى فزع أهله وسألوه ما الذى أبكاه، فاستعجب عليهم وتمادى فى البكاء فأرسلوا إلى أبى حازم فأخبروه بأمره فجاء أبو حازم إليه فإذا هو يبكى . قال : يا أخى ما الذى أبكاك قد رعت أهلك أفمن علة، أم ما بك؟ قال : إنه مرت بى آية فى كتاب الله عز وجل ! قال : وما هى ؟ قال : قول الله تعالى : ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ فبكى أبو حازم أيضاً معه واشتد بكاؤهما . فقال بعض أهله لأبى حازم : جئنا بك لتفرج عنه كربته، فأخبرهم ما الذى أبكاهما »[٢].

«كان عطاء - بن أبى رباح - بعد ما كبر وضعف، يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتى آية من سورة البقرة، وهو قائم لا يزول منه شىء ولا يتحرك»[٣] .

عن ميمون بن مهران قال : نظر رجل من المهاجرين إلى رجل يصلى فأخف الصلاة فعاتبه فقال : إنى ذكرت ضيعة لى، فقال : أكبر الضيعة

---

(١) حلية الأولياء ١٣٣/٣، وعلي بن الحسين هو على بن الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى، زين العابدين، ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور، من الثالثة، مات سنة ثلاث وتسعين، التقريب ٤٠٠ رقم ٤٧١٥ .

(٢) حلبة الأولياء ١٤٦/٣ . وابن المنكدر هو محمد بن المنكدر بن عبد عبد الله بن الهدير بالتصغير، المدنى، ثقة فاضل من الثالثة مات سنة ثلاثين أو بعدها ، التقريب ٥٠٨ رقم ٦٣٢٧ .

(٣) حلبة الأولياء ٣١٠/٣. وعطاء بن أبى رباح هو القرشى مولاهم، المكى، ثقة فقيه فاضل لكنه كثير التدليس من الثالثة مات سنة أربع عشرة على المشهور التقريب ٣٩١ رقم ٤٥٩١ .

أضعته[1].

و «كان أبو وائل إذا صلى فى بيته ينشج نشيجاً، ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله»[2]. وكان يقول وهو ساجد : «رب اغفر لى، رب اعف عنى، إن تعف عنى فطولاً من فضلك، وإن تعذبنى غير ظالم لى ولا مسبوق. ثم يبكى حتى يسمع نحيبه من وراء المسجد »[3].

وكان إبراهيم التيمى إذا سجد تجئ العصافير تستقر على ظهره كأنه جذم حائط[4].

وكان سعيد بن جبير يردد هذه الآية فى الصلاة بضعاً وعشرين مرة : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾ [البقرة].

وكان إذا أتى على هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ﴾ [غافر] ، رجع فيها ورددها مرتين أو ثلاثاً»[5].

---

(١) حلية الأولياء ٨٤/٤. وميمون هو ابن مهران الجزرى أبو أيوب، أصله كوفى، ثقة فقيه وكان يرسل مات سنة سبع عشرة التقريب ٥٥٦ رقم ٧٠٤٩.

(٢) حلية الأولياء لأبى نعيم ١٠١/٤. أبو وائل هو شقيق بن سلمة الأسدى، الكوفى ، ثقة مخضرم مات فى خلافة عمر بن عبد العزيز وله مائة سنة، التقريب ٢٦٨ رقم ٢٨١٦.

(٣) حلية الأولياء ١٠٣/٤.

(٤) حلية الأولياء ٢١٢/٤. إبراهيم التيمى هو ابن يزيد بن شريك الكوفى العابد، ثقة إلا أنه يرسل ويدلس من الخامسة مات سنة اثنتين وتسعين التقريب ٩٥ رقم ٢٦٩.

(٥) حلية الأولياء ٢٧٢/٤. سعيد ابن جبير الأسدى مولاهم الكوفى، ثقة ثبت فقيه من الثالثة، روايته عن عائشة وأبى موسى ونحوهما مرسلة قتل بين يدى الحجاج سنة خمس وتسعين. التقريب ٢٣٤ رقم ٢٢٧٨.

إخفاء الخشوع (١)

كان حذيفة (رضى الله عنه) يقول : إياكم وخشوع النفاق، فقيل له : وما خشوع النفاق ؟ قال : أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع .

وقال الفضيل بن عياض : كان يُكره أن يُرى الرجل من الخشوع أكثر مما فى قلبه .

ورأى بعضهم رجلاً خاشع المنكبين والبدن فقال : يا فلان ، الخشوع هاهنا وأشار إلى صدره ، لا هاهنا وأشار إلى منكبيه(٢).

وقال ابن القيم (رحمه الله تعالى) مبينا الفرق بين الخشوع الإيمان وخشوع النفاق : «خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القالب له كسرة ملتئمة من الوجل والخجل والحب والحياء وشهود نعمة الله وجناياته هو ، فيخشع القلب لا محالة فيتبعه خشوع الجوارح .

وأما خشوع النفاق فيبدو على الجوارح تصنعاً وتكلفا غير خاشع ، وكان بعض الصحابة يقول : أعوذ بالله من خشوع النفاق ، قيل له : وما خشوع النفاق ؟ قال : أن يُرى الجسد خاشعاً والقلب غير خاشع .

فالخاشع لله عبد قد خمدت نيران شهوته ، وسكن دخانها عن صدره ، فانجلى الصدر وأشرق فيه نور العظمة فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذى حشى به وخمدت الجوارح وتوقر القلب واطمأن إلى الله وذكره بالسكينة التى نزلت عليه من ربه فصار مخبتًا له ، والمخبت المطمئن ، فإن الخبت من الأرض ما اطمأن فاستنقع فيه الماء ، فكذلك القلب المخبت قد خشع واطمأن

(١) ٣٣ سببا للخشوع فى الصلاة ـ محمد صالح المنجد دار أصداء المجتمع ـ القصيمة .
(٢) المدارج ١/٥٢١.

كالبقعة المطمئنة من الأرض التى يجرى إليها الماء فيستقر فيها ، وعلامته أن يسجد بين يدى ربه إجلالا له وذلاً وانكساراً بين يديه سجدة لا يرفع رأسه عنها حتى يلقاه ، وأما القلب المتكبر قد اهتز بتكبره وربا فهو كبقعة رابية من الأرض لا يستقر عليها الماء ، فهذا خشوع الإيمان .

وأما التماوت وخشوع النفاق فهو حال عند تكلف إسكان الجوارح تصنعاً ومراءاة ونفسه فى الباطن شابة طرية ذات شهوات وإرادات فهو يتخشع فى الظاهر وحية الوادى وأسد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة(١) .

«والخشوع فى الصلاة إنما يحصل لمن فرَّغ قلبه لها ، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها ، وحينئذ تكون راحة له وقرة عين كما قال النبى ﷺ: « .... جُعلت قرَّة عينى فى الصلاة»(٢).

وقد ذكر الله الخاشعين والخاشعات فى صفات عبادة الأخبار وأخبر أنه أعد لهم مغفرة وأجراً عظيماً».

ومن فوائد الخشوع أنه يخفف أمر الصلاة على العبد ، قال تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) ﴾ [البقرة]

والمعنى : أى مشقة الصلاة ثقيلة إلا على الخاشعين(٣).

والخشوع أمر عظيم شأنه ، سريع فقده ، نادر وجوده خصوصاً فى زماننا وهو من آخر الزمان ، قال النبى ﷺ : «أول شئ يرفع من هذه الأمة الخشوع ، حتى لا ترى فيها خاشعاً»(٤).

---

(١) كتاب الروح ص ٣١٤ ، ط . دار الفكر ، الأردن.

(٢) تفسير ابن كثير ٥/٤٥٦ ، والحديث فى مسند أحمد ٣/١٢٨ وهو فى صحيح الجامع ٣١٢٤.

(٣) تفسير ابن كثير ١/١٢٥.

(٤) قال الهيثمى فى المجمع ٢/١٣٦ : رواه الطبرانى فى الكبير وإسناده حسن وهو فى صحيح الترغيب رقم ٥٤٣ ، وقال : صحيح .

«قال بعض السلف : الصلاة كجارية تُهدى إلى ملك الملوك فما الظن بمن يُهدى إليه جارية شلاء أو عوراء أو عمياء أو مقطوعة اليد والرجل أو مريضة أو دميمة أو قبيحة ، حتى يهدى إليه جارية ميتة بلا روح ... فكيف بالصلاة يهديها العبد ويتقرب بها إلى ربه تعالى ؟

والله طيب لا يقبل إلا طيباً وليس من العمل الطيب : «صلاة لا روح فيها ، كما أنه ليس من العتق الطيب عتق عبد لا روح فيه»[1].

حكم الخشوع

والراجح في حكم الخشوع أنه واجب ، قال شيخ الإسلام (رحمه الله تعالى) : قال الله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) ﴾ [البقرة]

وهذا يقتضى ذم غير الخاشعين ... والذم لا يكون إلا لترك واجب أو فعل محرَّم وإذا كان غير الخاشعين مذمومين دلَّ ذلك على وجوب الخشوع ... ويدل على وجوب الخشوع فيها أيضاً قوله تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) ﴾ [المؤمنون]

(١) المدارج ١/٥٢٦.

أخبر سبحانه وتعالى - أن هؤلاء هم الذين يرثون فردوس الجنة يقتضى أنه لا يرثها غيرهم ... وإذا كان الخشوع فى الصلاة واجباً وهو المتضمن للسكون والخشوع[1] فمن نقر نقر الغراب لم يخشع فى سجوده وكذلك من لم يرفع رأسه فى الركوع ويستقر قبل أن ينخفض لم يسكن لأن السكون هو الطأنينة بعينها لم يطمئن لم يسكن ومن لم يسكن لم يخشع فى ركوعه ولا فى سجوده ومن لم يخشع كان آثماً عاصياً ... ويدل على وجوب الخشوع فى الصلاة أن النبى ﷺ، توعد تاركيه كالذى يرفع بصره إلى السماء، وهو ضد حال الخاشع[2].

وفى فضل الخشوع ووعيد من تركه يقول النبى ﷺ : «خمس صلوات افترضهن الله تعالى ، من أحسن وضوءهن وصلاتهن لوقتهن ، وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل ، فليس له على الله عهد ، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه»[3].

وقال عليه الصلاة والسلام فى فضل الخشوع أيضاً : «من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين يُقبل عليهما بقلبه ووجهه [وفى رواية : لا يحدث فيهما نفسه] غفر له ما تقدم من ذنبه [وفى رواية : إلا وجبت له الجنة][4].

وعند البحث فى أسباب الخشوع فى الصلاة يتبين أنها تنقسم إلى قسمين، الأول : جلب ما يوجد الخشوع ويقويه . والثانى : دفع ما يزيل الخشوع ويضعفه ، وهو ما عبَّر عنه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فى بيانه لما يعين على الخشوع فقال :

---

(١) هكذا فى الأصل ولعلها الخضوع.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٢/٥٥٣ - ٥٥٨.

(٣) رواه أبو داود رقم ٤٢٥ وهو فى صحيح الجامع ٣٢٤٢.

(٤) البخارى ط. البغا رقم ١٥٨ والنسائى ١/٩٥.

والذى يعين على ذلك شيئان : قوة المقتضى وضعف الشاغل .

أما الأول : قوة المقتضى :

فاجتهاد العبد فى أن يعقل ما يقوله وما يفعله، ويتدبر القراءة والذكر والدعاء، ويستحضر أنه مناج لله تعالى كأنه يراه، فإن المصلى إذا كان قائماً فإنما يناجي ربه.

والأحسان : «أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ثم كلما ذاق العبد حلاوة الصلاة كان انجذابه إليها أوكد، وهذا يكون بحسب قوة الإيمان.

والأسباب المقوية للإيمان كثيرة ، ولهذا كان النبى ﷺ يقول : «حُبب إلىَّ من دنياكم : النساء والطيب ، وجُعلت قرَّة عينى فى الصلاة» وفى حديث آخر قال : «أرحنا بالصلاة يا بلال» ولم يقل : أرحنا منها.

أما الثانى : زوال العارض :

فهو الاجتهاد فى دفع ما يشغل من تفكير الإنسان فيما لا يعنيه، وتدبر الجواذب التى تجذب القلب عن مقصود الصلاة ، وهذا فى كل عبد بحسبه، فإن كثرة الوسواس بحسب كثرة الشبهات والشهوات ، وتعليق القلب بالمحبوبات التى ينصرف القلب إلى طلبها ، والمكروهات التى ينصرف القلب إلى دفعها(١) .

وبناء على هذا التقسيم نستعرض فيما يلى طائفة من أسباب الخشوع فى الصلاة.

أولا : الحرص على ما يجلب الخشوع ويقويه :

ويكون بأمور منها :

(١) مجموع الفتاوى ٦٠٦/٢٢ـ٦٠٧.

(١) الاستعداد للصلاة والتهيؤ لها :

ويحصل ذلك بأمور منها الترديد مع المؤذن والإتيان بالدعاء المشروع بعده «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته» ، والدعاء بين الأذان والإقامة ، وإحسان الوضوء والتسمية قبله والذكر والدعاء بعده (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً ورسوله) ، (اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين) .

والإعتناء بالسواك: وهو تنظيف وتطييب للفم الذى سيكون طريقاً للقرآن بعد قليل لحديث : «طهروا أفواهكم للقرآن»[١]. وأخذ الزينة باللباس الحسن النظيف، قال الله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) ﴾ [الأعراف]

والله عز وجل أحق من تُزين له، كما أن الثوب الحسن الطيب الرائحة يعطى صاحبه راحة نفسية بخلاف ثوب النوم والمهنة. وكذلك الاستعداد بستر العورة وطهارة البقعة والتبكير والمشى إلى المسجد بسكينة ووقار وعدم التشبيك بين الأصابع وانتظار الصلاة، وكذلك تسوية الصفوف والتراص فيها لأن الشياطين تتخلل الفُرج بين الصفوف .

(٢) الطمأنينة فى الصلاة :

كان النبى ﷺ يطمئن حتى يرجع كل عظم إلى موضعه[٢]. وأمر بذلك

---

(١) رواه البزار وقال : لا تعلمه عن على بأحسن من هذا الإسناد، كشف الأستار ٢٤٢/١، وقال الهيثمى : رجاله ثقات ٩٩/٢، وقال الألبانى : إسناد جيد الصحيحة ١٢١٣.

(٢) صحح إسناده فى صفة الصلاة ص ١٣٤ ط ١١ ، وعند ابن خزيمة نحوه كما ذكر الحافظ فى الفتح٣٠٨/٢.

المسئ صلاته وقال له : «لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك»(١).

وعن أبى قتادة - رضى الله عنه - قال : قال النبى ﷺ : «أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من الصلاة، قال يا رسول الله ، كيف يسرق صلاته ؟ قال لا يتم ركوعها ولا سجودها»(٢).

وعن أبى عبد الله الأشعرى - رضى الله عنه - قال : قال النبى ﷺ : «مثل الذى لا يتم ركوعه، وينقر فى سجوده ، مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين، لا يغنيان عنه شيئاً»(٣).

والذى لا يطمئن فى صلاته لا يمكن أن يخشع ، لأن السرعة تذهب بالخشوع ونقر الغراب يذهب بالثواب.

(٣) تذكر الموت فى الصلاة :

لقوله ﷺ : «اذكر الموت فى صلاتك، فإن الرجل إذا ذكر الموت فى صلاته لحرى أن يحسن صلاته، وصل صلاة رجل لا يظن أنه يصلى غيرها»(٤).

وفى هذا المعنى أيضاً وصية النبى ﷺ لأبى أيوب - رضى الله عنه - لما قال له : «إذا قمت فى صلاتك فصلِّ صلاة مودِّع»(٥) . يعنى صلاة من يظن أنه لن يصلى غيرها وإذا كان المصلى سيموت ولابد ، فإن هناك صلاة ما هى آخر

(١) رواه أبو داود ١/٥٣٦ رقم ٨٥٨.

(٢) رواه أحمد والحاكم ١/٢٢٩ ، وهو فى صحيح الجامع ٩٩٧.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير ٤/١١٥ وقال فى صحيح الجامع : حسن.

(٤) السلسة الصحيحة للألبانى ١٤٢١ ، ونقل عن السيوطى تحسين الحافظ ابن حجر رحمه الله لهذا الحديث.

(٥) رواه أحمد ٥/٤١٢ وهو فى صحيح الجامع رقم ٧٤٢.

صلاة له فليخشع فى الصلاة التى هو فيها فإنه لا يدرى لعل هذه تكون هى الأخيرة.

(٤) تدبر الآيات المقروءة وبقية أذكار الصلاة والتفاعل معها:

القرآن نزل للتدبر ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٢٩) ﴾ [ص]

ولا يحصل التدبر إلا بالعلم بمعنى ما يقرأ فيستطيع التفاعل فينتج الدمع والتأثر.

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) ﴾ [الفرقان]

وهنا يتبين أهمية الاعتناء بالتفسير ، قال ابن جرير رحمه الله : «إنى لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله (أى تفسيره) كيف يلتذ بقراءته»(١).

ومما يُعين على التدبر ترديد الآيات ومعاودة النظر فى المعنى وكان النبى ﷺ يفعل ذلك، فقد جاء أنه ﷺ قام ليلة بآية يرددها حتى أصبح وهى : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) ﴾ [المائدة](٢).

---

(١) مقدمة تفسير الطبرى لمحمود شاكر ١/١٠ ولذلك فمن المهم لقارئ القرآن أن ينظر فى تفسير ولو مختصر مع التلاوة مثل كتاب زبدة التفسير للأشقر المختصر من تفسير الشوكانى وتفسير العلامة ابن سعدى المسمى «تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان» وإن لم يكن فكتاب فى شرح الكلمات الغريبة مثل «المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن» لعبد العزيز السيروان فإنه جمع فيه أربعة كتب من كتب غريب القرآن .

(٢) رواه ابن خزيمة ١/٢٧١ وأحمد ٥/١٤٩ وهو فى صفة الصلاة ص ١٠٢ .

وكذلك فإن مما يعين على التدبر التفاعل مع الآيات كما روى حذيفة - رضى الله عنه - قال : «صليت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ... يقرأ مسترسلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مرَّ بتعوذ تعوَّذ»[1].

وفى رواية : «صليت مع رسول الله ﷺ ليلة، فكان إذا مر بآية رحمة سأل ، وإذا مر بآية عذاب تعوذ، وإذا مر بآية فيها تنزيه لله سبح»[2] . وقد جاء هذا فى قيام الليل .

وقام أحد الصحَابة - وهو قتادة بن النعمان رضى الله عنه - الليل لا يقرأ إلا ﴿ قل هو الله أحد ﴾ يرددها لا يزيد عليها[3] .

وقال سعيد بن عبيد الطائى : سمعت سعيد بن جبير يؤمهم فى شهر رمضان وهو يردد هذه الآية :

﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) ﴾ [غافر]

وقال القاسم : رأيت سعيد بن جبير قام ليلة يصلى فقرأ :

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾ [البقرة]

فرددها بضعاً وعشرين مرة.

وقال رجل من قيس يُكنى أبا عبد الله : بتنا ذات ليلة عند الحسن فقام من الليل فصلى فلم يزل يردد هذه الآية حتى السحر :

(١) رواه مسلم رقم ٧٧٢.

(٢) تعظيم قدر الصلاة ٣٢٧/١.

(٣) رواه البخارى ، الفتح ٥٩/٩ وأحمد ٤٣/٣ .

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨) ﴾ [النحل] .

فلما أصبح قلنا : يا أبا سعيد لم تكد تجاوز هذه الآية سائر الليل ، قال : أرى فيها معتبراً، أرفع طرفاً ولا أراده إلا وقد وقع على نعمة وما لا يعلم من نعم الله أكثر(١).

وكان هارون بن رباب الأسيدى يقوم من الليل للتهجد فربما ردد هذه الآية حتى يصبح : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) ﴾ [الأنعام] ويبكى حتى يصبح .

ومما يعين على التدبر أيضا حفظ القرآن والأذكار المتنوعة فى أركان الصلاة المختلفة ليتلوها ويذكر ليتفكر فيها .

ولا شك أن هذا العمل - من التدبر والتفكر والترديد والتفاعل - من أعظم ما يزيد الخشوع كما قال الله تعالى :

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) ﴾ [الإسراء]

وفيما يلى قصة مؤثرة يتبين فيها تدبره وخشوعه ﷺ مع بيان وجوب التفكر فى الآيات : عن عطاء قال : دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة - رضى الله عنها - فقال ابن عمير : حدثينا بأعجب شئ رأيتيه من رسول الله ﷺ فبكت وقال : قام ليلة من الليالى فقال : يا عائشة ذرينى أتعبد لربى، قالت: قلت : والله إنى لأحب قربك ، وأحب ما يسرك ، قالت : فقام فتطهر ثم قام يصلى ، فلم يزل يبكى حتى بل حجره ، ثم بكى فلم يزل يبكى حتى بلّ الأرض، وجاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فلما رآه يبكى قال : يا رسول الله ، تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : «أفلا أكون عبدا شكورا ؟ لقد نزلت

(١) التذكار للقرطبى ص ١٢٥.

على الليل آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر ما فيها : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) ﴾ [آل عمران]»(١).

ومن التجاوب مع الآيات التأمين بعد الفاتحة وفيه أجر عظيم ، قال رسول الله ﷺ «إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»(٢).

وهكذا التجاوب مع الإمام فى قوله سمع الله لمن حمده ، فيقول المأموم : ربنا ولك الحمد ، وفيه أجر عظيم، فعن رفاعة بن رافع الزرقى قال : كنا يوماً نصلى وراء النبى ﷺ ،فلما رفع رأسه من الركعة قال : سمع الله لمن حمده ، قال رجل وراءه : ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف قال: من المتكلم ؟ قال : أنا ، قال : رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول(٣).

(٥) أن يقطع قراءته آية آية :

وذلك أدعى للفهم والتدبر وهى سنة النبى ﷺ كما ذكرت أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ قراءة رسول الله ﷺ (بسم الله الرحمن الرحيم ، وفى رواية : ثم يقف ثم يقول : الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، وفى رواية : ثم يقف ثم يقول : ملك يوم الدين يقطع قراءته آية آية)(٤).

والوقوف عند رؤوس الآية سنة وإن تعلقت فى المعنى بما بعدها .

---

(١) رواه ابن حبان وقال فى السلسلة الصحيحة رقم ٦٨ ، وهذا إسناد .

(٢) رواه البخارى رقم ٧٤٧ .

(٣) رواه البخارى الفتح ٢/٢٨٤ .

(٤) رواه أبو داود رقم ٤٠٠١ وصححه الألبانى فى الإرواء وذكر طرقه ٢/٦٠ .

(٦) ترتيل القراءة وتحسين الصوت بها :

كما قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ وكانت قراءته ﷺ مفسرة حرفاً[١] حرفاً، «وكان ﷺ يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها»[٢].

وهذا الترتيل والترسل أدعى للتفكر والخشوع بخلاف الإسراع والعجلة.

ومما يعين على الخشوع أيضاً تحسين الصوت بالتلاوة وفى ذلك وصايا نبوية منها قوله ﷺ : «زيِّنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً»[٣].

وليس المقصود بتحسين الصوت : التمطيط والقرآن على ألحان أهل الفسق وإنما جمال بالصوت مع القراءة بحزن كما قال النبى ﷺ : «إن من أحسن الناس صوتاً القرآن الذى إذا استمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله»[٤].

(٧) أن يعلم أن الله يجيبه فى صلاته :

قال النبى ﷺ : «قال الله عز وجل : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين قال الله : حمدنى عبدى ، فإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله : أثنى علىَّ عبدى ، فإذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله : مجَّدى عبدى ، فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فإذا قال : اهدنا

---

(١) مسند أحمد ٦/٢٩٤ بسند صحيح صفة الصلاة ص ١٠٥ .

(٢) رواه مسلم رقم ٧٣٣.

(٣) أخرجه الحاكم ١/٥٧٥ وهو فى صحيح الجامع رقم ٣٥٨١.

(٤) رواه ابن ماجه ١/١٣٣٩ وهو فى صحيح الجامع رقم ٢٢٠٢.

الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال الله : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل»[1].

وهذا حديث عظيم جليل لو استحضره كل مصلّ لحصل له خشوع بالغ ولوجد للفاتحة أثراً عظيما كيف لا وهو يستشعر أن ربه يخاطبه ثم يعطيه سؤله.

وينبغى إجلال هذه المخاطبة وقدرها حق قدرها ، قال رسول الله ﷺ : «إن أحدكم إذا قام يصلى فإنما يناجى ربه فلينظر كيف يناجيه»[2].

(٨) الصلاة إلى سترة والدنو منها :

من الأمور المفيدة لتحصيل الخشوع فى الصلاة الاهتمام بالسترة والصلاة إليها فإن ذلك أقصر لنظر المصلى وأحفظ له من الشيطان وأبعد له عن مرور الناس بين يديه فإنه يشوش ويُنقص الأجر ، قال النبى ﷺ : «إذا صلى أحدكم فليصل إلى سترة وليدن منها»[3].

وللدنو من السترة فائدة عظيمة ، قال عليه الصلاة والسلام : «إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن منها لا يقطع الشيطان عليه الصلاة»[4]. والسنة فى الدنو من السترة أن يكون بينه وبين السترة ثلاثة أذرع وبينها وبين موضع سجوده ممر كما ورد فى الأحاديث الصحيحة[5].

وأوصى النبى ﷺ المصلى بأن لا يسمح لأحد أن يمر بينه وبين سترته ،

---

(١) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة رقم ٣٩٥.

(٢) مستدرك الحاكم ٢٣٦/١ وهو فى الصحيح الجامع رقم ١٥٣٨.

(٣) رواه أبو داود ٤٤٦/١٦٩٥ وهو فى صحيح الجامع رقم ٦٥١.

(٤) رواه أبو داود رقم ٤٤٦/١٦٩٥ وهو فى صحيح الجامع رقم ٦٥٠.

(٥) البخارى ، انظر الفتح ٥٧٤/١ ، ٥٧٩ .

فقال : «إذا كان أحدكم يصلى فلا يدع أحداً يمر بين يديه ، وليدرأه ما استطاع فإن أبى فليقاتله فإن معه القرين»[1]. قال النووى - حمه الله تعالى - : «والحكمة فى السترة كف البصر عما وراءه ومنع من يجتاز بقربه ... وتمنع الشيطان المرور والتعرض لإفساد صلاته»[2].

كان النبى ﷺ إذا قام فى الصلاة وضع يده اليمنى على اليسرى[3]، وكان يضعهما على الصدر[4] ، وقال رسول الله ﷺ : «إنَّا معشر الأنبياء أمرنا أن نضع أيماننا على شمائلنا فى الصلاة»[5].

وسئل الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - عن المراد بوضع اليدين إحداهما على الأخرى حال القيام فقال : هو ذلّ بين يدى العزيز[6] .

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : قال العلماء : الحكمة فى الهيئة أنها صفة السائل الذليل وهو أمنع من العبث وأقرب إلى الخشوع[7].

(١٠) النظر إلى مو ضع السجود :

لما ورد عن عائشة ، كان رسول الله ﷺ إذا صلى طأطأ رأسه ورمى ببصره نحو الأرض[8].

(١) رواه مسلم ١/٢٦٠ وهو فى صحيح الجامع رقم ٧٥٥ .

(٢) شرح صحيح مسلم ٤/٢١٦ .

(٣) مسلم رقم ٤٠١ .

(٤) أبو داود رقم ٤٥٩ وانظر إرواء الغليل ٢/٧١ .

(٥) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير رقم ١١٤٨٥ قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح ، المجمع ٣/١٥٥ .

(٦) الخشوع فى الصلاة ، ابن رجب ص ٢١٠ .

(٧) فتح البارى ٢/٢٢٤ .

(٨) رواه الحاكم ١/٤٧٩ وقال صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الألبانى صفة الصلاة ص٨٩ .

ولما دخل الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج عنها[1] .

أما إذا جلس للتشهد فإنه ينظر إلى أصبعه المشيرة وهو يحركها لما جاء عنه ﷺ أنه كان إذا جلس للتشهد يشير بأصبعه التى تلى الإبهام إلى القبلة ويرمى ببصره إليها[2]، وفى رواية : وأشار بالسبابة ولم يجاوز بصره إشارته[3].

مسألة :

وهنا سؤال يدور فى أذهان بعض المصلين وهو : ما حكم إغماض العينين فى الصلاة خصوصاً وأن المرء قد يحس بمزيد من الخشوع إذا فعل ذلك؟

والجواب : أن ذلك مخالف للسنة الواردة عن النبى ﷺ كما تقدم قبل قليل ، ثم إن الإغماض يفوت سنة النظر إلى موضوع السجود وإلى الأصبع ، ولكن هناك شئ من التفصيل فى المسألة فلنفسح المكان للعلامة أبى عبد الله ابن القيم يبين الأمر ويجلّيه، قال رحمه الله تعالى : «ولم يكن من هديه ﷺ تغميض عينيه فى الصلاة ، وقد تقدم أنه كان فى التشهد يومئ ببصره إلى أصبعه فى الدعاء ولا يجاوز بصره إشارته .

وقد يدل على ذلك مد يده فى صلاة الكسوف ليتناول العنقود لما رأى الجنة ، وكذلك رؤيته النار وصاحبة الهرة فيها وصاحب المحجن، وكذلك حديث مدافعته التى أرادت أن تمر بين يديه وردّه الغلام والجارية وحجزه بين الجاريتين، وكذلك أحاديث ردّ السلام بالإشارة على من سلم عليه وهو فى الصلاة، فإنه إنما كان يشير إلى من يراه ، وكذلك حديث تعرّض الشيطان له

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك ٤٧٩/١ وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى ، قال الألبانى : وهو كما قالا ، إرواء الغليل ٧٣/٢ .

(٢) رواه ابن خزيمة ٣٥٥/١ رقم ٧١٩ ، وانظر صفة الصلاة ص١٣٩ .

(٣) رواه أحمد ٣/٤ وأبو داود رقم ٩٩٠.

فأخذه فخنقه وكان ذلك رؤية عين، فهذه الأحاديث وغيرها يُستفاد من مجموعها العلم بأنه لم يكن يغمض عينيه فى الصلاة .

وقد اختلف الفقهاء فى كراهته ، فكرهه الإمام أحمد وغيره وقالوا : هو فعل اليهود ، وأباحه جماعة ولم يكرهوه .. والصواب أن يُقال إن كان تفتيح العين لا يُخل بالخشوع فهو أفضل ، وإن كان يحول بينه وبين الخشوع لما فى قبلته من الزخرفة والتزويق أو غيره مما يشوش عليه قلبه فهنالك لا يكره التغميض قطعاً ، والقول باستحبابه فى هذا الحال أقرب إلى أصول الشرع ومقاصده من القول بالكراهة ، والله أعلم[1].

وبهذا يتبين أن السنة عدم الإغماض إلا إذا دعت الحاجة لتلافى أمر يضر بالخشوع.

(١١) تحريك السبابة :

وهذا أمر أهمله كثير من المصلين فضلاً عن جهلهم بفائدته العظيم وأثره فى الخشوع.

قال النبى ﷺ «لهى أشد على الشيطان من الحديد»[2]. «أى أن الإشارة بالسبابة عند التشهد فى الصلاة أشد على الشيطان من الضرب بالحديد لأنها تذكر العبد بوحدانية الله تعالى والإخلاص فى العبادة وهذا أعظم شئ يكرهه الشيطان نعوذ بالله منه»[3].

ولأجل هذه الفائدة العظيمة كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يتواصون بذلك ويحرصون عليه ويتعاهدون أنفسهم فى هذا الأمر الذى يقابله كثير من

(١) زاد المعاد ١/٢٩٣ ط . دار الرسالة .

(٢) رواه الإمام أحمد ٢/١١٩ بسند حسن كما فى صفة الصلاة ص ١٥٩ .

(٣) الفتح الربانى للساعاتى ٤/١٥ .

الناس فى هذا الزمان بالاستخفاف والإهمال ، فقد جاء فى الأثر ما يلى : «كان أصحاب النبى ﷺ يأخذ بعضهم على بعض ، يعنى : الإشارة بالأصبع فى الدعاء»(١).

والسنة فى الإشارة بالسبابة أن تبقى مرفوعة متحركة مشيرة إلى القبلة طيلة التشهد .

(١٢) التنويع فى السور والآيات والأذكار والأدعية فى الصلاة :

وهذا يُشعر المصلى بتجدد المعانى ويفيده ورود المضامين المتعددة للآيات والأذكار، وهذا ما يفتقده الذى لا يحفظ إلا عدداً محدوداً من السور (وخصوصاً قصارها) والأذكار ، فالتنويع من السنة وأكمل فى الخشوع .

وإذا تأملنا ما كان النبى ﷺ يتلوه ويذكره فى الصلاة فإننا نجد هذا التنوع ، ففى أدعية الاستفتاح مثلاً نجد نصوصاً مثل :

«اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقِّنى من خطاياى كما يُنقَّى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد».

«وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين».

«سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك».

وغير ذلك من الأدعية والأذكار والمصلى يأتى بهذا مرة وبهذا مرة وهكذا .

---

(١) رواه ابن أبى شيبة بسند حسن كما فى صفة الصلاة ١٤١ ، وفى المطبوع من أبى شيبة [بأصبع] انظر المصنف رقم ٩٧٣٢ ج ١٠ ، ص ٣٨١ ط. الدار السلفية ، الهند .

وفى السور التى كان ﷺ يقرؤها فى صلاة الفجر نجد عدداً كثيراً مباركاً مثل :

(طوال المفصل كالواقعة، والطور، وق ، وقصار المفصل مثل : إذا الشمس كورت ، والزلزلة ، والمعوذتين ، وورد أنه قرأ الروم ، ويس ، والصافات ، وكان يقرأ فى فجر الجمعة بالسجدة والإنسان).

وفى صلاة الظهر ورد أنه كان يقرأ فى كل من الركعتين قدر ثلاثين آية وقرأ بالطارق والبروج والليل إذا يغشى .

وفى صلاة العصر يقرأ فى كل من الركعتين قدر خمس عشرة آية ويقرأ بالسور التى سبقت فى صلاة الظهر .

وفى صلاة المغرب يقرأ بقصار المفصل كالتين والزيتون ، وقرأ بسورة محمد والطور والمرسلات وغيرها.

وفى العشاء كان يقرأ من وسط المفصل : ﴿الشمس وضحاها﴾ و ﴿إذا السماء انشقت﴾ وأمر معاذاً أن يقرأ بـ الأعلى ، والقلم ، والليل إذا يغشى.

وفى قيام الليل كان يقرأ بطوال السور وورد فى سنته ﷺ قراءة مائتى آية ومائة آية وخمسين آية وكان أحيانا يقصر القراءة.

وأذكار ركوعه ﷺ متنوعة ، فبالاضافة إلى (سبحان ربى العظيم) و (سبحان ربى العظيم وبحمده) يقول: (سبوح قدوس رب الملائكة والروح) ويقول: (اللهم لك ركعت وبك آمنت ، ولك أسلمت ، وعليك توكلت ، أنت ربى ، خشع سمعى وبصرى ودمى ولحمى وعظمى وعصبى لله رب العالمين).

وفى الرفع من الركوع يقول بعد (سمع الله لمن حمده) (ربنا ولك الحمد) وأحيانا (ربنا لك الحمد) وأحيانا (اللهم ربنا «و» لك الحمد) وكان يضيف أحيانا

(ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شئ بعد ويضيف تارة (أهل الثناء والمجد ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد) .

وفى السجود بالاضافة إلى (سبحان ربى الأعلى) و (سبحانك ربى الأعلى وبحمده) يقول أيضا (سبوح قدوس رب الملائكة والروح) و (وسبانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى) و (اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت ، سجد وجهى للذى خلقه وصوّره وشقّ سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن الخالقين) وغير ذلك.

وفى الجلسة بين السجدتين بالاضافة إلى (رب اغفر لى رب اغفر لى) يقول : (اللهم اغفر لى وارحمنى وأجبرنى وارفعنى واهدنى وعافنى وارزقنى).

وفى التشهد عدد من الصيغ الواردة مثل : (التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبى ...... إلخ) وكذلك ورد : (التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله ، السلام عليك أيها النبى .... إلخ) وورد (التحيات الطيبات الصلوات لله ، السلام عليك أيها النبى ..... إلخ) .

فيأتى المصلى مرة بهذا ومرة بهذا .

وفى الصلاة على النبى ﷺ عدة صيغ منها : (اللهم صلِّ على محمد وعلى آله محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد) .

وورد أيضاً : (اللهم صلِّ على محمد وعلى أهل بيته وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل بيته وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) .

وورد أيضاً : اللهم صلّ على محمد النبى الأمى وعلى آل محمد كما

صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد النبى الأمى وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد) .

وورد صيغ أخرى كذلك والسنة أن ينوّع كما تقدم ولا يمنع أن يواظب على بعضها أكثر من بعض لقوة ثبوتها أو اشتهارها فى كتب الحديث الصحيحة أو لأن النبى ﷺ علمها أصحابة لما سألوه عن الكيفية بخلاف غيرها وهكذا[1].

(٣ ١) أن يأتى بسجود التلاوة إذا مر بموضعه :

من آداب التلاوة السجود عند المرور بالسجدة ، وقد وصف الله فى كتابه الكريم النبيين والصالحين بأنهم ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا﴾ قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : «أجمع العلماء على شرعية السجود هاهنا اقتداء بهم واتباعا لمنوالهم»[2].

وسجود التلاوة فى الصلاة عظيم وهو مما يزيد الخشوع ، قال الله - عز وجل - : ﴿ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا﴾ . وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه سجد بسورة النجم فى صلاته ، وروى البخاري - رحمه الله - فى صحيحه (عن أبى رافع قال : صليت مع أبي هريرة - رضى الله عنه - العتمة [أي العشاء] فقرأ : ﴿إذا السماء انشقت﴾ فسجد فقلت له ، قال : سجدت خلف أبى القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه)[3].

فينبغى المحافظة على سجود التلاوة فى الصلاة خصوصا وأن سجود التلاوة فيه ترغيم للشيطان وتبكيت له وذلك مما يضعف كيده للمصلى .

(١) جميع ما تقدم من النصوص والصيغ من كتاب صفة صلاة النبى ﷺ، للعلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى الذى اجتهد فى جمعها من كتب الحديث.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٣٨/٥ ط. دار الشعب .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الأذان . باب الجهر بالعشاء .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكى ، يقول : يا ويلى ، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت فلى النار»[1].

(١٤) الاستعاذة بالله من الشيطان :

الشيطان عدو لنا ومن عداوته قيامه بالوسوسة للمصلى كى يذهب خشوعه ويلبِّس عليه صلاته .

والوسواس يعرض لكل من توجه إلى الله تعالى بذكر أو بغيره ، لابد له من ذلك ، فينبغى للعبد أن يثبت ويصبر ، ويلازم ما هو فيه من الذكر والصلاة ولا يضر، فإنه بملازمة ذلك ينصرف عنه كيد الشيطان ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾.

وكلما أراد العبد توجها إلى الله تعالى بقلبه جاء من الوسوسة أمور أخرى ، فإن الشيطان بمنزلة قاطع الطريق ، كلما أراد العبد السير إلى الله تعالى، أراد قطع الطريق عليه، ولهذا قيل لبعض السلف : «إن اليهود والنصارى يقولون : لا نُوَسوَسَ، قال صدقوا ، وما يصنع الشيطان بالبيت الخرب»[2].

«وقد مثل ذلك بمثال حسن، وهو ثلاثة بيوت : بيت للملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره، وبيت للعبد فيه كنوز العبد وذخائره وجواهره ، وليس الملك وذخائر ، وبيت خال صفر لا شئ فيه ، فجاء اللص يسرق من أحد البيوت، فمن أيها يسرق[3].

---

(١) رواه الإمام مسلم فى صحيحة رقم ١٣٣ .

(٢) مجموع الفتاوى ٦٠٨/٢٢ .

(٣) الوابل الصيب ص ٤٣.

والعبد إذا قام فى الصلاة غار الشيطان منه ، فإنه قد قام فى أعظم مقام وأقربه وأغيظه للشيطان ، وأشده عليه فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه بل لا يزال به يعده ويمنِّيه وينسيه ، ويجلب عليه بخيله ورجله حتى يهوّن عليه شأن الصلاة ، فيتهاون بها فيتركها .

فإن عجز عن ذلك منه، ودعاه العبد، وقام فى ذلك المقام ، أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه، ويحول بينه وبين قلبه ، فيذكر فى الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها، حتى ربما كان قد نسى الشئ والحاجة وأيسر منها ، فيذكره إياها فى الصلاة ليشغل قلبه بها ، ويأخذه عن الله - عز وجل - فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما ينال المقبل على ربه - عز وجل - الحاضر بقلبه فى صلاته، فينصرف من صلاته مثلما دخل فيه بخطاياه وذنوبه وأثقاله ، لم تُخف عنه بالصلاة، فإن الصلاة إنما تُكَفِر سيئات من أدى حقها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدى الله تعالى بقلبه وقالبه[1].

ولمواجهة كيد الشيطان وإذهاب وسوسته أرشدنا النبى ﷺ إلى العلاج التالى :

عن أبى العاص - رضى الله عنه - قال : يا رسول الله ، إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى يلبِّسها علىَّ، فقال رسول الله ﷺ : «ذاك شيطان يُقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوّذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثاً». قال : ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى.

ومن كيد الشيطان للمصلى ما أخبرنا عنه ﷺ وعن علاجه فقال : «إن أحدكم إذا قام يصلى جاء الشيطان فلبس عليه - يعنى خلط عليه صلاته وشككه

---

(١) الوابل الصيب ص ٣٦.

فيها - حتى لا يدرى كم صلى ، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس»[1].

ومن كيده كذلك ما أخبرنا عنه رسول الله ﷺ بقوله : «إذا كان أحدكم فى الصلاة فوجد حركة فى دبره أحدث أو لم يحدث، فأشكل عليه فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً»[2].

بل إن كيده ليبلغ مبلغاً عجيباً كما يوضحه هذا الحديث ، عن ابن عباس أن النبى ﷺ سئل عن الرجل يخيّل إليه فى صلاته أنه أحدث ولم يُحدث ، فقال رسول الله ﷺ : «إن الشيطان يأتى أحدكم وهو فى صلاته حتى يفتح مقعدته فيخيل إليه أنه أحدث ولم يُحدث ، فإذا وجد أحدكم فلا ينصرفن حتى يسمع صوت ذلك بأذنه أو يجد ريح ذلك بأنفه»[3].

مسألة :

وهناك خدعة شيطانية يأتى بها «خنزب» إلى بعض الخيّرين المصلين، وهى محاولة إشغالهم بالتفكير فى أبواب أخرى من الطاعات عن الصلاة التى هم بشأنها وذلك كإشغال أذهانهم ببعض أمور الدعوة أو المسائل العلمية فيستغرقون فيها فلا يعقلون أجزاء من صلاتهم وربما لبّس على بعضهم بأن عمر كان يجهِّز الجيش فى الصلاة ، ولندع المجال لشيخ الإسلام ابن تيمية يجلى الأمر ويجيب عن هذه الشبهة.

قال رحمه الله تعالى : «وأما ما يُروى عن عمر بن الخطاب من قوله :

---

(١) رواه البخارى ، كتاب السهو ، باب السهو فى الفرض والتطوع.

(٢) رواه مسلم رقم ٣٨٩.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير رقم ١١٥٥٦ ج١١ ص٢٢٢ وقال فى مجمع الزوائد ٢٤٢/١ رجاله رجال الصحيح.

(وإنى لأجهز جيشى وأنا فى الصلاة) فذلك لأن عمر كان مأموراً بالجهاد وهو أمير المؤمنين ، فهو أمير الجهاد ، فصار بذلك من بعض الوجوه بمنزلة المصلى الذى يصلى صلاة الخوف حال معاينة العدو ، إما حال القتال وإما غير حال القتال، فهو مأمور بالصلاة ، ومأمور بالجهاد ، فعليه أن يؤدى الواجبين بحسب الإمكان ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ ، ومعلوم أن طمأنينة القلب حال الجهاد لا تكون كطمأنينة حال الأمن ، فإذا قُدّر أنه نقصَ من الصلاة شئ لأجل الجهاد لم يقدح هذا فى كمال إيمان العبد وطاعته .

ولهذا تخفف صلاة الخوف عن صلاة الأمن ، ولما ذكر الله سبحانه صلاة الخوف قال : ﴿ فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ فالإقامة المأمور بها حال الطمأنينة لا يؤمر بها حال الخوف.

ومع هذا : فالناس متفاوتون فى ذلك ، فإذا قوى إيمان العبد كان حاضر القلب فى الصلاة ، مع تدبره للأمور بها ، وعمر قد ضرب الله الحق على لسانه وقلبه ، وهو المحدّث المُلهم فلا ينكر لمثله أن يكون مع تدبيره جيشه فى الصلاة من الحضور ما ليس لغيره ، لكن لا ريب أن حضوره مع عدم ذلك يكون أقوى، ولا ريب أن صلاة رسول الله ﷺ حال أمنه كانت أكمل من صلاته حال الخوف فى الأفعال الظاهرة فإذا كان الله قد عفا حال الخوف عن بعض الواجبات الظاهرة فكيف بالباطنة .

وبالجملة فتفكر المصلى فى الصلاة [فى] أمر يجب عليه قد يضيق وقته ، ليس كتفكر فيما ليس بواجب أو فيما يضق وقته ، وقد يكون عمر لم يمكن من التفكر فى تدبير جيشه إلا فى تلك الحال ، وهو إمام الأمة والواردات عليه كثيرة، ومثل هذا يعرض لكل أحد بحسب مرتبته ، والإنسان دائماً يذكر فى

الصلاة ما لا يذكره خارج الصلاة ، ومن ذلك ما يكون من الشيطان ، كما أن بعض السلف ذكر له رجل أنه دفن مالاً وقد نسي موضعه ، فقال : قم فصل ، فقام فصلى فذكره ، فقيل له ، من أين علمت ذلك ؟ قال : علمت أن الشيطان لا يدعه فى الصلاة حتى يذكره يشغله ولا أهم عنده من ذكر موضع الدفن ، لكن العبد الكيِّس يجتهد فى كمال الحضور مع كمال فعل بقية المأمور ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم(١).

(١٥) التأمل فى حال السلف فى صلاتهم :

وهذا يزيد الخشوع ويدفع إلى الاقتداء فـ «لو رأيت أحدهم وقد قام إلى صلاته فلما وقف فى محرابه واستفتح كلام سيده خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذى يقوم الناس فيه العالمين فانخلع قلبه وذهل عقله»(٢).

قال مجاهد ـ رحمه الله ـ : «كان إذا قام أحدهم يصلى يهاب الرحمن أن يشد بصره إلى شئ أو يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشئ أو يحدث نفسه من شأن الدنيا إلا ناسياً مادام فى صلاته»(٣).

كان ابن الزبير إذا قام فى الصلاة كأنه عود من الخشوع ، وكان يسجد فأتى المنجنيق فأخذ طائفة من ثوبه وهو فى الصلاة لا يرفع رأسه ، وكان مسلمة بن بشار يصلى فى المسجد فانهدم طائفة منه فقام الناس وهو فى الصلاة لم يشعر ، ولقد بلغنا أن بعضهم كان كالثوب الملقى ، وبعضهم ينفتل من صلاته متغير اللون لقيامه بين يدى الله ـ عز وجل ـ وبعضهم إذا كان فى صلاته لا يعرف من على يمينه وشماله .

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/ ٦١٠.

(٢) الخشوع فى الصلاة ، ابن رجب ص٢٢.

(٣) تعظيم قدر الصلاة ١/ ١٨٨.

وبعضهم يصفر وجهه إذا توضأ للصلاة ، فقيل له : إنا نراك إذا توضأت للصلاة تغيرت أحوالك قال : إنى أعرف بين يدى من سأقوم ، وكان على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ إذا حضرت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه ، فيقال له : مالك ؟ فيقول جاء والله وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها .

وكان سعيد التنوخى إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته، وبلغنا عن بعض التابعين أنه كان إذا قام إلى الصلاة تغير لونه ، وكان يقول : أتدرون بين يدى من أقف ومن أناجى ؟ فمن منكم لله فى قلبه مثل هذه الهيبة؟[1].

وقالوا لعامر بن عبد القيس : أتحدث نفسك فى صلاة ؟ فقال : أوَشئ أحب إلىَّ من الصلاة أحدث به نفسى ! قالوا : إنا لنحدث أنفسنا فى الصلاة ، فقال : أبالجنة والحور ونحو ذلك ؟ قالوا لا ، ولكن بأهلينا وأموالنا . فقال : لأن تختلف الأسنّة فىَّ أحبّ إلىَّ[2] .

وقال سعيد بن معاذ : فىَّ ثلاث خصال لو كانت فى سائر أحوالى أكون فيهن ، لكنت أنا أنا : إذا كنت فى الصلاة لا أحدث نفسى بغير ما أنا فيه ، وإذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً لا يقع فى قلبى ريب أنه الحق ، وإذا كنت فى جنازة لم أحدث نفسى بغير ما تقول ويقال لها[3] .

قال حاتم ـ رحمه الله ـ أقوم بالأمر ، وأمشى بالخشية ، وأدخل بالنية ، وأكبر بالعظمة ، وأقرأ بالترتيل والتفكير ، وأركع بالخشوع ، وأسجد بالتواضع ،

---

(١) سلاح اليقظان لطرد الشيطان ، عبد العزيز السلمان ص ٢٠٩.

(٢) أى لأن يكثر طعن الرماح فى جسدى أحب إلى من أن أحدث نفسى فى الصلاة بأمور الدنيا.

(٣) الفتاوى لابن تيمية ٢٢/٦٠٥.

وأجلس للتشهد بالتمام ، وأسلم بالنية ، وأختمها بالإخلاص لله عز وجل ، وأرجع على نفسي بالخوف أخاف أن لا يقبل مني وأحفظه بالجهد إلى الموت[1].

قال أبو بكر الصبغي : أدركت إمامين لم أرزق السماع منهما : أبو حاتم الرازي ومحمد بن نصر المروزي ، فأما ابن نصر فما رأيت أحسن صلاة منه ، لقد بلغني أن زنبوراً قعد على جبهته فسال الدم على وجهه ولم يتحرك .

وقال محمد بن يعقوب الأخرم : ما رأيت أحسن صلاة من محمد بن نصر ، كان الذباب يقع على أذنه ... فلا يذبّه عن نفسه ، ولقد كنا نتعجب من حسن صلاته وخشوعه وهيبته للصلاة كان يضع ذقنه على صدره كأنه خشبة منصوبة[2].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - إذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة[3] .

قارن بين هذا وبين ما يفعله بعضنا اليوم ، هذا ينظر في ساعته ، وآخر يصلح هندامه ، وثالث يعبث بأنفه ومن يبيع ويشتري في الصلاة وربما عدّ نقوده وبعضهم يتابع الزخارف في السجاد والسقوف أو يحاول التعرف على من بجانبيه.

تُرى لو وقف واحد من هؤلاء بين يدي عظيم من عظماء الدنيا هل يجرؤ على فعل شئ من ذلك ؟

---

(١) الخشوع في الصلاة ٢٧ - ٢٨ .

(٢) تعظيم قدر الصلاة ١/٥٨ .

(٣) الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية لمرعي الكرمي ص ٨٣ دار الغرب الإسلامي.

(١٦) معرفة مزايا الخشوع فى الصلاة :

ومنها :

* قوله ﷺ : «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها ، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله»(١).

* أن الأجر المكتوب بحسب الخشوع كما قال ﷺ : «إن العبد ليصلى الصلاة ما يكتب له منها إلا عشرها ، تسعها ، ثمنها ، سبعها ، سدسها ، خمسها ، ربعها ، ثلثها ، نصفها»(٢).

* أنه ليس له من صلاته إلا ما عقل منها كما جاء عن ابن عباس - رضى الله عنهما - «ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها»(٣) .

* أن الأوزار والآثار تنحط عنه إذا صلى بتمام وخشوع كما قال النبى ﷺ : «إن العبد إذا قام يصلى أُتى بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقيه فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه»(٤).

قال المناوى : «المراد أنه كلما أتم ركنا سقط عنه ركن من الذنوب حتى أتمها تكامل السقوط وهذا فى صلاة متوفرة الشروط والأركان والخشوع كما يؤذن به لفظ «العبد» و «القيام» إذ هو إشارة إلى أنه قام بين يدى ملك الملوك مقام عبد ذليل»(٥).

---

(١) رواه مسلم ٢٠٦/١ رقم ٧/٤/٢.

(٢) رواه الإمام أحمد ٣٢١/٤ وهو فى صحيح الجامع ١٦٢٦.

(٣) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٦١٢/٢٢.

(٤) رواه البيهقى فى السنن الكبرى ١٠/٣ وهو فى صحيح الجامع .

(٥) فيض القدير ٣٦٨/٢.

* أن الخاشع فى صلاته إذا إنصرف منها وجد خفة من نفسه ، وأحس بأثقال قد وضعت عنه ، فوجد نشاطاً وراحة وروحاً ، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها ، لأنها قرَّة عينه ونعيم روحه ، وجنة قلبه ، ومستراحه فى الدنيا ، فلا يزال كأنه فى سجن وضيق حتى يدخل فيها ، فيستريح بها ، لا منها ، فالمحبون يقولون : نصلى فنستريح بصلاتنا ، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم ﷺ : «يا بلال أرحنا بالصلاة» ولم يقل أرحنا منها .

وقال ﷺ : «جعلت قرّة عينى بالصلاة» فمن جُعلت قرَّة عينه فى الصلاة، كيف تقرّ عينه بدونها وكيف يطيق الصبر عنها ؟ !(١).

(١٧) الاجتهاد بالدعاء فى مواضعه فى الصلاة وخصوصا فى السجود :

لا شك أن مناجاة الله تعالى والتذليل إليه والطلب منه والإلحاح عليه مما يزيد العبد صلة بربه فيعظم خشوعه ، والدعاء هو العبادة والعبد مأمور به ﴿ ادعو ربكم تضرعا وخفية ﴾ و «من لم يسأل الله يغضب عليه»(٢).

وقد ثبت الدعاء فى الصلاة عن النبى ﷺ فى مواضع معينة هى : السجود وبين السجدتين، وبعد التشهد، وأعظم هذه المواضع السجود، لقوله ﷺ «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»(٣). وقال : «...أما السجود فاجتهدوا فى الدعاء فقمن - أى حرىّ وجدير - أن يُستجاب لكم»(٤).

(١) الوابل الصيب ٣٧.

(٢) رواه الترمذى كتاب الدعوات ١/٤٢٦ وحسنه فى صحيح الترمذى ٢٦٨٦.

(٣) رواه مسلم كتاب الصلاة باب ما يقال فى الركوع والسجود ٢١٥.

(٤) رواه مسلم كتاب الصلاة باب النهى عن قراءة القرآن فى الركوع والسجود رقم ٢٠٧.

ومن أدعيته ﷺ في سجوده : «اللهم اغفر لي ذنبي دقّه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره»[1]. وكذلك : «اللهم اغفر لى ما أسررت وما أعلنت»[2]. وقد تقدم بعض ما كان يدعو به بين السجدتين[3].

مما كان يدعو به ﷺ بعد التشهد ما علمناه بقوله : «إذا فرغ أحدكم من التشهد فليستعذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر المسيح الدجال».

وكان يقول : «اللهم إنى أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل»، «اللهم حاسبنى حساباً يسيراً» .

وعلَّم أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - أن يقول : «اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لى مغفرة من عندك ، وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم».

وسمع رجلا يقول فى تشهده : «اللهم إنى أسألك يا الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن تغفر لى ذنوبى إنك أنت الغفور الرحيم، فقال ﷺ قد غُفر له ، قد غُفر له».

وسمع آخر يقول فى تشهده : «اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك المنان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حى يا قيوم إنى أسألك الجنة وأعوذ بك من النار ، فقال النبى ﷺ لأصحابه: تدرون بما دعا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذى إذا دُعى به أجاب وإذا سُئل به أعطى».

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال فى الركوع والسجود رقم ٢١٦.

(٢) أخرجه النسائى ، المجنى ٦٩/٢ه وهو فى صحيح النسائى ١٠٦٧.

(٣) انظر السبب رقم ١١ .

وكان من آخر ما يقوله ﷺ بين التشهد والتسليم : «اللهم اغفر لى ما قدمت ، وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به منى أنت المقدّم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت»[1].

وحفظ مثل هذه الأدعية يعالج مشكلة صمت بعض الناس وراء الإمام إذا فرغوا من التشهد لأنهم لا يدرون ماذا يقولون .

(١٨) الأذكار الواردة بعد الصلاة :

فإنه مما يعين على تثبيت أثر الخشوع فى القلب وما حصل من بركة الصلاة وفائدتها .

ولا شك أن من حفظ الطاعة الأولى وصيانتها اتباعها بطاعة ثانية ، وكذلك فإن المتأمل لأذكار ما بعد الصلاة يجد أنها تبدأ بالاستغفار ثلاثاً فكأن المصلى يستغفر ربه عما حصل من الخلل فى صلاته وعما حصل من التقصير فى خشوعه فيها ، وكذلك فإن من المهم المحافظة على النوافل تجبر النقص فى الفرائض والذى يشمل الإخلال بالخشوع .

وبعد الكلام عن تحصيل الأسباب الجالبة للخشوع يأتى الحديث عن :

ثانيا : دفع الموانع والشواغل التى تصرف عن الخشوع وتكدر صفوه.

(١٩) إزالة ما يشغل المصلى من المكان :

عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : كان قِرام[2] لعائشة سترت به جانب

(١) هذه الأدعية وغيرها وتخريجها فى صفة الصلاة للعلامة الألبانى ص١٦٣ ط١١.

(٢) ستر فيه نقش وقيل ثوب ملوّن.

بيتها ، فقال لها النبى ﷺ «أميطى[1] عنى لا تزال تصاويره تعرض لى فى صلاتى»[2].

وعن القاسم عن عائشة - رضى الله عنها - أنه كان لها ثوب فيه تصاوير ممدود إلى سهوة[3] فكان النبى ﷺ يصلى إليه فقال : «أخِّريه عنى فإنه لا تزال تصاويره تعرض لى فى صلاتى» . فأخرته فجعلته وسائد[4].

ويدل على هذا المعنى أيضاً أن النبى ﷺ لما دخل الكعبة ليصلى فيها رأى قرنى كبش فلما صلى قال لعثمان الحجبى : «إنى نسيت أن آمرك أن تخمر القرنين فإنه ليس ينبغى أن يكون فى البيت شئ يشغل المصلى»[5].

ويدخل فى هذا ؛ الاحتراز من الصلاة فى أماكن مرور الناس وأماكن الضوضاء والأصوات المزعجة وبجانب المتحدثين وفى مجالس اللغو واللغط وكل ما يشغل البصر.

وكذلك تجنب الصلاة فى أماكن الحر الشديد والبرد الشديد إذا أمكن ذلك فإن النبى ﷺ أمر بالابراد فى صلاة الظهر بالصيف لأجل هذا ، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «إن الصلاة فى شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور ، ويفعل العبادة بتكرّه وتضجّر ، فمن حكمة الشارع أن أمرهم بتأخيرها حتى ينكسر الحر ، فيصلى العبد بقلب حاضر ، ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والإقبال على الله تعالى»[6].

---

(١) أزيلى .

(٢) رواه البخاري ، فتح البارى ٣١/١٠.

(٣) بيت صغير منحدر فى الأرض قليلا شبيه بالمخدع زو الخزانة .

(٤) رواه مسلم رحمه الله فى صحيحه ١٦٦٨/٣ .

(٥) أخرجه أبو داود ٢٠٣٠ وهو فى صحيح الجامع ٢٥٠٤.

(٦) الوابل الصيب ط. دار البيان ص ٢٢ .

(٢٠) أن لا يصلى فى ثوب فيه نقوش أو كتابات أو ألوان أو تصاوير تشغل المصلى :

فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قام النبى ﷺ يصلى فى خميصة ذات أعلام[١] فنظر إلى علمها فلما قضى صلاته قال : «اذهبوا بهذه الخميصة إلى أبى جهم بن حذيفة وأتونى بأنبجانية[٢] ، فإنها ألهتنى آنفاً فى صلاتى».

وفى رواية : «شغلتنى أعلام هذه» ، وفى رواية : «كانت له خميصة لها علم، فكان يتشاغل بها فى صلاة»[٣].

ومن باب أولى أن لا يصلى فى ثياب فيها صور وخصوصاً ذوات الأرواح كما شاع وانتشر فى هذا الزمان .

(٢١) أن لا يصلى وبحضرته طعام يشتهيه :

وقال رسول الله ﷺ : «لا صلاة بحضرة طعام»[٤].

فإذا وُضع الطعام وحضر بين يديه أو قُدّم له ، بدأ بالطعام لأنه لا يخشع إذا تركه وقام يصلى ونفسه متعلقة به ، بل إن عليه أن لا يعجل حتى تنقضى حاجته منه ، لقوله ﷺ : «إذا قرِّب العشاء وحضرت الصلاة ، فابدؤا به قبل أن تصلوا صلاة المغرب ، ولا تعجلوا عن عشائكم» .

وفى رواية : «إذا وُضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء ولا

---

(١) أى كساء مخطط ومربع .

(٢) كساء ليس فيه تخطيط ولا تطريز والا أعلام.

(٣) الروايات فى صحيح مسلم رقم ٥٥٦ ج ٣٩١/١.

(٤) رواه مسلم رقم ٥٦٠ .

يعجلنَّ حتى يفرغ منه»[1].

(٢ ٢) أن لا يصلى وهو حاقن أو حاقب :

لا شك أن مما ينافى الخشوع أن يصلى الشخص وقد حصره البول أو الغائط ولذلك (نهى رسول الله ﷺ أن يصلى الرجل وهو حاقن) والحاقن أى الحابس البول[2]، والحاقب هو حبس الغائط .

ومن حصل له ذلك فعليه أن يذهب إلى الخلاء لقضاء حاجته ولو فاته ما فاته من صلاة الجماعة ، فإن النبى ﷺ قال : «إذا أراد أحدكم أن يذهب إلى الخلاء وقامت الصلاة فليبدأ بالخلاء»[3].

بل إنه إذا حصل له ذلك أثناء الصلاة فإنه يقطع صلاته لقضاء حاجته ثم يتطهر ويصلى ، لأن النبى ﷺ قال : «لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان»[4]. وهذه المدافعة بلا ريب تذهب بالخشوع . ويشمل هذا الحكم أيضاً مدافعة الريح .

(٣ ٢) أن لا يصلى وقد غلبه النعاس :

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا نعس أحدكم فى الصلاة فلينم حتى يعلم ما يقول» أى فليرقد حتى يذهب عنه النوم[5].

---

(١) متفق عليه ، البخارى كتاب الآذان ، باب إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة، وفى مسلم رقم ٥٥٩،٥٧٥.

(٢) رواه ابن ماجة فى سننه رقم ٦١٧ وهو فى صحيح الجامع رقم ٦٨٣٢.

(٣) رواه أبو داود رقم ٨٨ وهو فى صحيح الجامع رقم ٢٩٩.

(٤) صحيح مسلم رقم ٥٦٠.

(٥) رواه البخارى رقم ٢١٠ .

وقد جاء ذكر السبب فى ذلك : فعن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال : «إذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يستغفر فيسب نفسه»[١].

وقد يحصل هذا فى قيام الليل وقد يصادف ساعة إجابة فيدعو على نفسه وهو لا يدرى ، ويشمل هذا الحديث الفرائض أيضاً إذا أمِن بقاء الوقت[٢].

(٢٤) أن لا يصلى خلف المتحدث أو (النائم) :

لأن النبى ﷺ نهى عن ذلك فقال: «لا تصلوا خلف النائم ولا المتحدث»[٣].

لأن المتحدث يلهى بحديثه ، والنائم قد يبدو منه ما يلهى .

قال الخطابى - رحمه الله - : «أما الصلاة إلى المتحدثين فقد كرهها الشافعى وأحمد بن حنبل وذلك من أجل أن كلامهم يُشغل المصلى عن صلاته»[٤].

أما أدلة النهى عن الصلاة خلف النائم فقد ضعفها عدد من أهل العلم[٥].

وقال البخارى - رحمه الله تعالى - فى صحيحه : باب الصلاة خلف النائم، وساق حديث عائشة : كان النبى ﷺ يصلى وأنا راقدة معترضة على فراشه[٦].

---

(١) رواه البخارى رقم ٢٠٩.

(٢) فتح البارى ، شرح كتاب الوضوء ، باب الوضوء من النوم.

(٣) رواه أبو داود رقم ٦٩٤ وهو فى صحيح الجامع رقم ٣٧٥ ، وقال : حديث حسن.

(٤) عون المعبود ٢/٣٨٨.

(٥) منهم أبو داود فى سننه كتاب الصلاة ، تفريغ أبواب الوتر : باب الدعاء ، وابن حجر فى فتح البارى شرح باب الصلاة خلف النائم ، كتاب الصلاة .

(٦) صحيح البخارى ، كتاب الصلاة .

«وكره مجاهد وطاوس ومالك الصلاة إلى النائم خشية أن يبدو منه ما يلهى المصلى عن صلاته»(١).

فإذا أُمن ذلك فلا تُكره الصلاة خلف النائم والله أعلم .

(٢٥) عدم الانشغال بتسوية الحصى :

روى البخارى - رحمه الله تعالى - عن معيقيب - رضى الله عنه - (أن النبى ﷺ قال فى الرجل يسوى التراب حيث يسجد قال : «إن كنت فاعلاً فواحدة»(٢).

قال رسول الله ﷺ : «لا تمسح وأنت تصلى فإن كنت لابد فاعلاً فواحدة» يعنى تسوية الحصى(٣).

والعلة فى هذا النهى؛ المحافظة على الخشوع ولئلا يكثر العمل فى الصلاة، والأولى إذا كان موضع سجوده يحتاج إلى تسوية فليسوه قبل الدخول فى الصلاة .

ويدخل فى الكراهية مسح الجبهة والأنف وقد سجد النبى ﷺ فى ماء وطين وبقى أثر ذلك فى جبهته ولم يكن ينشغل فى كل رفع من السجود بإزالة ما علق فالاستغراق فى الصلاة والخشوع فيها يُنسى ذلك ويشغل عنه ، وقد قال النبى ﷺ : «إن فى الصلاة شغلاً»(٤) .

وقد روى ابن شيبة عن أبى الدرداء قال: ما أحب أن لى حمر النعم وأنى

---

(١) فتح البارى ، الموضع السابق .

(٢) فتح البارى ٣/٧٩.

(٣) رواه أبو داود رقم ٩٤٦ وهو فى صحيح الجامع رقم ٧٤٥٢.

(٤) رواه البخارى فتح البارى ٣/٧٢.

مسحت مكان جبيني من الحصى . وقال عياض : كره السلف مسح الجبهة في الصلاة قبل الانصراف[1]. يعني الانصراف من الصلاة.

وكما أن المصلي ينبغي أن يحترز مما يشغله عن الصلاة كما مر في النقاط السابقة فكذلك أن يلتزم بعدم التشويش على المصلين الآخرين ، ومن ذلك:

(٢٦) عدم التشويش بالقراءة على الآخرين :

قال رسول الله ﷺ : «ألا إن كلكم مناج ربه ، فلا يؤذين بعضكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة» أو قال : «في الصلاة»[2].

وفي رواية : «لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن»[3].

(٢٧) ترك الالتفات في الصلاة :

لحديث أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يزال الله عز وجل مقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت، فإذا التفت انصرف عنه»[4].

والالتفات في الصلاة قسمان :

الأول : التفاف القلب إلى غير الله - عز وجل -.

الثاني : التفات البصر ، وكلاهما منهي عنه وينقص من أجر الصلاة ، وقد سئل رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال : «اختلاس يختلسه

(١) الفتح ٣/٩٧.

(٢) رواه أبو داود ٢/٨٣ وهو في صحيح الجامع رقم ٧٥٢.

(٣) رواه الإمام أحمد ٢/٣٦ وهو في صحيح الجامع ١٩٥١.

(٤) رواه أبو داود رقم ٩٠٩ وهو في صحيح أبي داود .

الشيطان من صلاة العبد»[1].

«ومثل من يلتفت فى صلاته ببصره أو قلبه مثل رجل استدعاه السلطان فأوقفه بين يديه وأقبل يناديه ويخاطبه وهو فى خلال ذلك يلتفت عن السلطان يميناً وشمالاً ، وقد انصرف قلبه عن السلطان فلا يفهم ما يخاطبه به ، لأن قلبه ليس حاضراً معه فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان ؟

أفليس أقل المراتب فى حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتاً مبعداً قد سقط من عينيه ، فهذا المصلى لا يستوى والحاضر القلب المقبل على الله تعالى فى صلاته الذى قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه فامتلأ قلبه من هيبته وذلت عنقه له ، واستحيى من ربه أن يقبل على غيره أو يلتفت عنه وبين صلاتيهما كما قال حسان بن عطية : إن الرجلين ليكونان فى الصلاة الواحدة ، وإن ما بينهما فى الفضل كما بين السماء والأرض ، وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على الله - عز وجل - والآخر ساه غافل»[2].

وأما الالتفات «لحاجة فلا بأس به ، وروى أبو داود عن سهل بن الحنظلية قال : (ثوب بالصلاة - صلاة الصبح - فجعل رسول الله ﷺ يصلى وهو يلتفت إلى الشعب). قال أبو داود : (وكان أرسل فارساً من الليل إلى الشعب يحرس).

وهذا كحمله أمامة بنت أبى العاص ، وفتحه الباب لعائشة ونزوله من المنبر لما صلى بهم يعلمهم وتأخره فى صلاة الكسوف، وإمساكه الشيطان وخنقه لما أراد أن يقطع صلاته وأمره بقتل الحية والعقرب فى الصلاة ، وأمره بردّ المار بين يدى المصلى ومقاتلته، وأمره النساء بالتصفيق وإشارته فى الصلاة وغير ذلك من الأفعال التى تُفعل لحاجة ، ولو كانت لغير حاجة كانت من العبث -

(١) رواه البخارى ، كتاب الأذان باب : الالتفات فى الصلاة .

(٢) الوابل الصيب ص ٣٦ ط. دار البيان.

المنافى للخشوع - المنهى عنه فى الصلاة»[1].

(٢٨) عدم رفع البصر إلى السماء :

وقد ورد النهى عن ذلك والوعيد على فعله فى قوله ﷺ : «إذا كان أحدكم فى الصلاة فلا يرفع بصره إلى السماء ، أن يلتمع بصره»[2].

وفى رواية : «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى صلاتهم».

«وفى رواية : عن رفعهم أبصارهم عند الدعاء فى الصلاة»[3]. فاشتد قوله فى ذلك حتى قال : «لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم»[4].

(٢٩) أن لا يبصق أمامه فى الصلاة :

لأنه مما ينافى الخشوع فى الصلاة والأدب مع الله لقوله ﷺ : «إذا كان أحدكم يصلى فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قِبَل وجهه إذا صلى».

وقال : «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق أمامه ، فإنما يناجى الله - تبارك وتعالى - مادام فى مصلاة ، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكاً ، وليبصق عن يساره ، أو تحت قدمه فيدفنها»[5].

وقال : «إن أحدكم إذا قام فى صلاته فإنما يناجى ربه، وإن ربه بينه وبين قبلته ، فلا يبزقنَّ أحدكم فى قبلته ، ولكن عن يساره أو تحت قدمه»[6].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/٥٥٩.

(٢) رواه أحمد ٥/٢٩٤ وهو فى صحيح الجامع رقم ٧٦٢.

(٣) رواه مسلم رقم ٤٢٩.

(٤) رواه الإمام أحمد ٥/٢٥٨ ، والبخارى فى صحيحة كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء فى الصلاة.

(٥) رواه البخارى فى صحيحه رقم ٣٩٧.

(٦) رواه البخارى، الفتح رقم ١٤١٧/٥١٢.

وإذا كان المسجد مفروشاً السجاد ونحوه كما هو الغالب فى هذا الزمان فيمكنه إذا احتاج أن يُخرج منديلاً ونحوه فيبصق فيه ويردّه .

(٣٠) مجاهدة التثاؤب فى الصلاة :

قال رسول الله ﷺ : «إذا تثاءب أحدكم فى الصلاة فليكظم ما استطاع فإن الشيطان يدخل»[١]. وإذا دخل الشيطان يكون أقدر على التشويش على خشوع المصلى بالاضافة إلى أنه يضحك من المصلى إذا تثائب.

(٣١) عدم الاختصار فى الصلاة :

عن أبى هريرة قال : (نهى رسول الله ﷺ عن الاختصار الصلاة)[٢]. والاختصار هو أن يضع يديه على خصره ، فعن زياد بن صحيح الحنفى قال : صليت إلى جنب ابن عمر فوضعت يدى على خاصرتى فضرب يدى فلما صلى قال : هذا الصلب فى الصلاة ، وكان رسول الله ﷺ ينهى عنه[٣].

وقد جاء فى حديث مرفوع : أن التخصر راحة أهل النار والعياذ بالله[٤].

(٣٢) ترك السدل فى الصلاة :

لما ورد أن رسول الله ﷺ (نهى عن السدل فى الصلاة وأن يغطى الرجل

---

(١) رواه مسلم ٤/٢٢٩٣.

(٢) رواه أبو داود رقم ٩٤٧ ، والحديث فى صحيح البخارى كتاب العمل فى الصلاة ، باب الخصر فى الصلاة .

(٣) رواه الإمام أحمد ١٠٦/٢ وغيره ، وصححه الحافظ العراقى فى تخريج الإحياء ، انظر : الإرواء٢/٩٤.

(٤) رواه البيهقى عن أبى هريرة مرفوعاً . قال العراقى : ظاهر إسناده الصحة .

فاه)[1]. فى عون المعبود[2] قال الخطابى : السدل : إرسال الثوب حتى يصيب الأرض. ونقل فى مرقاة المفاتيح[3]: السدل منهى عنه مطلقاً ؛ لأنه من الخيلاء وهو فى الصلاة أشنع وأقبح . وقال صاحب النهاية : أى يلتحف بثوبيه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد.

وقيل : بأن اليهود كانت تفعله . وقيل السدل : أن يضع الثوب على رأسه أو كتفه ويرسل أطرافه أمامه أو على عضديه فيبقى مشغلاً بمعالجته ، فيخلّ بالخشوع بخلاف ما لو كان مربوطاً أو مزرراً لا يُخشى من وقوعه فلا يُشغل المصلى حينئذ ولا ينافى الخشوع .

ويوجد فى بعض ألبسة الناس اليوم من بعض الأفارقة وغيرهم وفى طريقة لبس بعض المشالح والأردية ما يبقى المصلى مشغولاً فى أحيان من صلاته برفع ما وقع أو ضم ما انفلت وهكذا فينبغى التنبه لذلك .

أما النهى عن تغطية الفم فمن العلل التى ذكرها العلماء فى النهى عنه أنه يمنع حسن إتمام القراءة وكمال السجود[4].

(٣٣) ترك التشبه بالبهائم :

لما أن الله كرَّم ابن آدم وخلقه فى أحسن تقويم ، كان من المعيب أن يتشبه الآدمى بالبهائم وقد نهينا فى الصلاة عن مشابهة البهائم فى عدد من هيئاتها وحركتها لما فى ذلك من منافاة الخشوع أو قبح الهيئة التى لا تليق بالمصلى فمما ورد فى ذلك : (نهى رسول الله ﷺ فى الصلاة عن ثلاث : عن

---

(١) رواه أبو داود رقم ٦٤٣ وهو فى صحيح الجامع ٦٨٨٣ ، وقال حديث حسن.

(٢) ٣٤٧/٢.

(٣) ٢٣٦/٢.

(٤) مرقاة المفاتيح ٢٣٦/٢ .

نقر الغراب وافتراش السبع وأن يوطن الرجل المقام الواحد كإبطان البعير)[1].

قيل معناه أن يألف الرجل مكاناً معلوماً من المسجد مخصوصاً به يصلى فيه كالبعير لا يُغير مناخه فيوطنه[2].

وفى رواية : (نهانى عن نقرة كنقرة الديك ، وإقعاء كإقعاء الكلب ، والتفات كالتفات الثعلب)[3].

هذا ما تيسر ذكره من الأسباب الجالية للخشوع لتحصيلها والأسباب المشغلة عنه لتلافيها .

وإن من عظم مسألة الخشوع وعلو قدرها عند العلماء أنهم ناقشوا القضية التالية :

مسألة فيمن كثرت الوساوس فى صلاته ، هل تصح أم عليه الإعادة ؟

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ فإن قيل ما تقولون فى صلاة من عدم الخشوع ، هل يعتد بها أم لا ؟

قيل : أما الاعتداد بها فى الثواب : فلا يعتد بها إلا بما عقل فيه منها ، وخشع فيه لربه .

قال ابن عباس : ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها . وفى المسند مرفوعاً : «إن العبد ليصلى الصلاة ، ولم يكتب له إلا نصفها ، أو ثلثها، أو ربعها حتى بلغ عشرها».

---

(١) رواه أحمد ٣/٤٢٨.

(٢) الفتح الربانى ٤/٩١.

(٣) رواه الإمام أحمد ٢/٣١١ وهو فى صحيح الترغيب رقم ٥٥٦ .

فقد علق الله فلاح المصلين بالخشوع فى صلاتهم ، فدل على أن من لم يخشع فليس من أهل الفلاح ، ولو اعتدَّ له بها ثواباً لكان من المفلحين ، وأما الاعتداد بها فى أحكام الدنيا وسقوط القضاء فإن غلب عليها الخشوع وتعقلها اعتد بها إجماعاً ، وكانت من السنن والأذكار عقيبها (بعدها) جوابر ومكملات لنقصها.

وإن غلب عدم الخشوع فيها وعدم تعقلها فقد اختلف الفقهاء فى وجوب إعادتها ، فأوجبها ابن حامد من أصحاب أحمد . ومن هذا أيضاً اختلافهم فى الخشوع فى الصلاة وفيه قولان للفقهاء ، وهما فى مذهب أحمد وغيره.

وعلى القولين : اختلافهم فى وجوب الإعادة على من غلب عليه الوسواس فى صلاته ، فأوجبها ابن حامد من أصحاب أحمد ولم يوجبها أكثر الفقهاء ، واحتجوا بأن النبى ﷺ أمر من سها فى صلاته بسجدتين السهو ولم يأمره بالإعادة مع قوله : «إن الشيطان يأتى أحدكم فى صلاته فيقول : أذكر كذا ، أذكر كذا ، لما لم يكن يذكر ، حتى يُضل الرجل أن يدرى كم صلى» .

ولكن لا نزاع أن هذه الصلاة لا ثواب على شئ منها إلا بقدر حضور قلبه وخضوعه ، كما قال ﷺ : «إن العبد لينصرف من الصلاة ولم يكتب له إلا نصفها ، ثلثها ، ربعها ، حتى بلغ عشرها» ، وقال ابن عباس : «ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها» ، فليست صحيحة باعتبار ترتب كمال مقصودها عليها ، وإن سميت صحيحة باعتبار أنا لا نأمره بالإعادة[1].

وقد ثبت عن النبى ﷺ فى الصحيح أنه قال : «إذا أذَّن المؤذن بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، حتى لا يسمع التأذين ، فإذا قضى التأذين أقبل ، فإذا ثوب بالصلاة أدبر ، فإذا قضى التثويب أقبل ، حتى يخطر بين المرء

(١) مدارج السالكين ١/١١٢ .

ونفسه، يقول : اذكر كذا اذكر كذا ، ما لم يكن يذكر ، حتى يظل لا يدرى كم صلى ، فإذا وجد أحدكم ذلك فليسجد سجدتين وهو جالس» .

قالوا : فأمره النبى فى هذه الصلاة التى قد أغفله الشيطان فيها ، حتى لم يدر كم صلى بأن يسجد سجدتى السهو ، ولم يأمره بإعادتها ولو كانت باطلة ـ كما زعمتم ـ لأمره بإعادتها .

قالوا : وهذا هو السر فى سجدتى السهو ، ترغيماً للشيطان فى وسوسته للعبد ، وكونه حال بينه وبين الحضور فى الصلاة ، ولهذا سماها النبى ﷺ المرغمتين.

فإن أردتم وجوب الإعادة : لتحصل هذه الثمرات والفوائد فذاك كله إليه إن شاء أن يحصلها وإن شاء أن يفوتها على نفسه ، وإن أردتم بوجوبها أنا نلزمه بها ونعاقبه على تركها ونرتب عليه أحكام تارك الصلاة فلا ، وهذا القول الثانى أرجح القولين . والله أعلم[1] .

---

(١) مدارج السالكين ١/٥٢٨ ـ ٥٣٠ .

الباب الثانى :

خشوع الرجل فى الصلاة

الخشوع فى اللغة (١)

قال ابن فارس فى «المقاييس»: [الخاء والشين والعين أصل واحد، يدل على الطامن. يقال: خشع إذا تطامن وطأطأ رأسه، يخشع خشوعاً. وهو قريب المعنى من الخضوع إلا أن الخضوع فى البدن ... والخشوع فى الصوت والبصر].

وقال الفيومى فى «المصباح المنير» : [خشع خشوعاً إذا خضع . وخشع فى صلاته ودعائه : أقبل بقلبه على ذلك ، وهو مأخوذ من خشعت الأرض إذا سكنت واطمأنت]

وقال الفيروزبادى فى «القاموس» : [الخشوع : الخضوع كالاختشاع - والفعل كمنع - أو قريب من الخضع . أو هو فى البدن والخشوع فى الصوت والبصر . والخشوع : السكون والتذلل].

وقال الراغب فى «المفردات» : [الخشوع : الضراعة . وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح ، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد فى القلب . ولذلك قيل فيما روى : «إذا ضرع القلب خشعت الجوارح»].

الخشوع فى القرآن

وقد وردت هذه الكلمة فى القرآن مرتبطة بالصلاة ، ووردت مطلقة .

فمن الأول قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) ﴾ [المؤمنون]

(١) الخشوع فى الصلاة - د/ محمد لطفى الصباغ - دار الوراق الرياض.

ومن الثانى قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ [الحشر]

وقد أسند الخشوع فى القرآن إلى الذوات الكائنات فوصفت به تارة ، وأسند إلى الأصوات والقلوب والأبصار تارة أخرى .

فمن الأول قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) ﴾ [البقرة]

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩) ﴾ [آل عمران]

وفى حديث القرآن عن الأنبياء يقول تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠) ﴾ [الأنبياء]

وقد أعدّ الله للخاشعين والخاشعات مغفرة وأجراً عظيماً .

ومن إسنادها إلى الذوات إسنادها إلى الجبل، قال تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ [الحشر]

ومن ذلك إسنادها إلى الأرض . قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) ﴾ [فصلت]

وأسندت هذه الكلمة إلى القلوب والأبصار والأصوات .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (16) ﴾ [الحديد]

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (7) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (8) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (9) ﴾ [النازعات]

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا (108) ﴾ [طه]

ومن ذلك قوله : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (42) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (43) ﴾ [القلم]

والمعنى الذى يدور فى هذه الآيات هو السكون والخضوع وتذلل.

تعريف الخشوع

من التعريفات التى أوردها ابن القيم فى (مدارج السالكين) :

«الخشوع : قيام القلب بين يدى الربّ بالخضوع والذل».

«الخشوع : الانقياد للحق ، ومن علاماته أن العبد إذا خولف ورُدّ عليه بالحق استقبل ذلك بالقبول والانقياد» .

وقال الجنيد : الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب[1].

---

(1) مدارج السالكين ١/٥٢١ .

ولعل التعريف الذى أورده ابن رجب هو أجودها ، قال ابن رجب : «أصل الخشوع لين القلب وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته . فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء ، لأنها تابعة له»(١).

محل الخشوع

الخشوع محله القلب ، ولابد أن تظهر آثاره على الجوارح على الوجه والجسم. أما إذا ظهرت آثار الخشوع على الجوارح ولم يكن فى القلب شئ منه فهذا خشوع النفاق .

قال حذيفة : إياكم وخشوع النفاق .

قيل : وما خشوع النفاق ؟

قال : أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع(٢) .

النمطية والاعتياد

هناك أمران يترتب أحدهما على الآخر إن لم ينتبه المرء لذلك فاعتياد الصلاة أمر حرص الشارع الحكيم على أن يكون فى المكلف ؛ ولذلك أمرنا أن نأمر أولادنا بالصلاة لسبع وأن نضربهم عليها لعشر، حتى تتكون عندهم هذه العادة فتصبح جزءاً من تكوينهم . وهذا أمر طيب .

ولكن الذى يحصل أن ذلك يقود - فى حال الغفلة - إلى النمطية ،والنمطية تذهب الشعور بالجمال وتضعف الإحساس بالمعنى الكريم ؛ إن ألفة العمل والمداومة عليه تقود إلى النمطية ، فيشرع المرء بالصلاة ويقرأ ما يقرأ دون أن يرافق ذلك تأثر وتدبر ، ولذلك لابد من معالجة هذا الأمر ، ولنبتعد عن النمطية

---

(١) الخشوع : لابن رجب ص ١٧.

(٢) مدارج السالكين : لابن القيم ٥٢١/١.

يجب اتباع الوسائل التى تعين على الوصول إلى الخشوع .

ونؤكد ما يأتى :

* تدبر معنى الأذكار وتدبر معنى الآيات التى يقرؤها المصلى أمر يعين على الخشوع ، وسنذكر بعض هذه المعانى على سبيل المثال .

* ومما يساعد على التدبر أن يلزم المرء نفسه كل يوم بل كل صلاة أن يقرأ بعد الفاتحة آيات جديدة غير التى قرأها فى الصلوات السابقة ، أما الذى يفعله كثير من الناس وهو أن يقرأ الفاتحة وسورة الإخلاص - فى كل ركعة فهذا يجعل الصلاة عملاً آلياً بعيداً عن التدبر والخشوع .

وإذا كان هذا مقبولا من العامة الأميين ومن الأعاجم فغريب أن يكون من المثقفين الذين يعرفون العربية ويفهمونها . وجدير بهؤلاء أن يكون نصيبهم من حفظ القرآن نصيباً موفوراً .

إن هذا مما يساعد المصلى على الخشوع .

الخشوع ... واليقظة

إن اليقظة والنشاط أمران لابد أن يتوافرا للمصلى حتى يحصل على الخشوع ... ولذلك ورد النهى عن الصلاة والمرء ناعس لأنه لا يدرك ما يقول .

فعن عائشة رضى الله عنها - أن النبى ﷺ قال : «إذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد، حتى يذهب عنه النوم ، فإنه إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه» رواه مالك ، وأحمد ، والبخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجة ، وابن حبان(١).

---

(١) الموطأ ١/١١٨ ، والمسند ٦/٢٠٥، والبخارى برقم ٢١٢ ، ومسلم برقم ٧٨٦، وأبو داود برقم ١٣١٠، وابن ماجة برقم ١٣٧٠ ، والترمذى برقم ٣٥٥ ، والنسائى ١/٩٩ - ١٠٠ ، وابن حبان ٦/٣٢٠.

وعن أنس - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا نعس أحدكم وهو يصلى فلينصرف فلينم حتى يعلم ما يقول» رواه أحمد والبخارى والنسائى(١).

وفى هذا الحديث توجيه كريم إلى أن لا يؤخر الإنسان صلاة العشاء حتى يغلبه النعاس وهو فى الصلاة ، وإن كان الحديث فيه عموم.

وكذلك فيه توجيه إلى أن لا يسهر الإنسان السهر الطويل حتى إذا قام لصلاة الفجر بواسطة منبه الساعة - مثلا - لا يدرى ما يقول ويعجل بصلاته عجلة تذهب كل معانى الخشوع .

الإمام ... والخشوع

وإذا كنت يا أخى إماماً فى الصلاة فعليك أن تحرص على الخشوع أنت أولاً ثم عليك أن تعين إخوانك الذى يأتمّون بك على الخشوع ، وذلك بأن :

تصلى وتعطى أركان الصلاة حقها الشرعى الطمأنينة والذكر.

وأن تحسن القراءة فتقرأ بصوت حسن وأن تجوّد القراءة وفق قواعد التجويد.

وأن لا تطيل إطالة تجعل من يقف وراءك طائر اللبّ ضجراً يتمنى بكل حرقة أن تخفف من قراءتك .

فعن أبى مسعود عقبة بن عمرو البدرى الأنصارى قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إنى لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا ، فما رأيت النبى ﷺ غضب فى موعظة قط أشدّ مما غضب يومئذ . فقال : «يا أيها الناس إن منكم منفرين ، فأيكم أمّ فليوجز ، فإن من ورائه الكبير والصغير

---

(١) المسند ١٥٠/٣ ، والبخارى برقم ٢١٣ ، والنسائى ٢١٥/١ - ٢١٦.

وذا الحاجة»[1].

وقد أورد ابن حجر[2] الأثر الذى رواه البيهقى فى «شعب الإيمان» بإسناد صحيح عن عمر - رضى الله عنه - أنه قال : لا تبغضوا الله إلى عباد؛ يكون أحدكم إماماً فيطول على القوم الصلاة حتى يبغض إليهم ما هم فيه».

وعن أنس عن النبى ﷺ قال : «إنى لأدخل فى الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه»[3].

وجدير بك أيها الإمام أن لا تعجل فى صلاتك ففى الركعتين الأخيرتين من الصلاة الرباعية يعجل كثير من الأئمة بحيث لا يمكنّون المأمومين من قراءة الفاتحة فيفوّت ذلك عليهم الخشوع.

والاعتدال فى ذلك هو المطلوب .

وقد ورد فى «صحيح مسلم» وغيره أحاديث تذكر لنا القراءة المعتدلة :

ففى الظهر والعصر يقرأ بالليل إذا يغشى (مسلم ٤٥٩) وسبّح اسم ربك الأعلى (مسلم ٤٦٠).

وفى المغرب بالمرسلات عرفاً (مسلم ٤٦٢) وبالطور (مسلم ٤٦٣).

وفى العشاء بنحو والتين والزيتون (مسلم ٤٦٤).

وفى الفجر ب ق (مسلم ٤٥٧) والتكوير (مسلم ٤٥٦).

---

(١) رواه أحمد ١١٨/٤، والبخارى برقم ٩٠ ، ومسلم ٤٢/٢ وفى ط. عبد الباقى ٤٦٦، وابن ماجة برقم ٩٨٤، والدرامى ٢٨٨/١.

(٢) فتح البارى ١٩٥/٢.

(٣) رواه البخارى ٧٠٩ ، ومسلم برقم ٤٧٠.

وقال ابن دقيق العيد كما نقل عنه ابن حجر[1] : [وقول الفقهاء : لا يزيد الإمام فى الركوع والسجود على ثلاث تسبيحات لا يخالف ما ورد عن النبى ﷺ أنه كان يزيد على ذلك ؛ لأن رغبة الصحابة فى الخير تقتضى ألا يكون ذلك تطويلا] انتهى كلام ابن دقيق العيد .

البكاء فى الصلاة وفضله ... و صلته بالخشوع :

واحرص يا أخى على التدبر تدبر ما تقرأ ومن مقتضى التدبر أن توازن بين حالك وحال من يمر بك ذكرهم فى آيات القرآن من أهل الجنة ، لترى مدى تقصيرك.

وكذلك الوازنة بين حالك وحال من يمر بك ذكرهم من أهل النار ، لتتحرى إن كان فيك شئ من خصالهم لتراجع نفسك ولتدرك عظيم حاجتك لمغفرة الله وعفوه سبحانه .

وقد يحملك ذلك ـ وهو من الخشوع ـ على البكاء .

فالبكاء خشية من الله منزلة عالية قال ﷺ : فى حديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه ... «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» رواه البخارى ، ومسلم[2] .

وقال ﷺ : «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع، ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم» وهو حديث صحيح أخرجه الترمذى[3].

---

(١) فتح البارى ٢/١٩٩ .

(٢) البخارى برقم ٦٦٠ ، ومسلم ١٠١٣.

(٣) الترمذى برقم ١٦٣٣ .

ولقد كان ﷺ يبكى فى الصلاة فعن عبد الله بن الشِّخِّير قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى ، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء[1]، وفى رواية كأزيز الرحى ، وأزيز الرحى صوتها وجرجرتها ، وأزيز المرجل : غليانه ، أى كغليان القدر .

وجاء فى وصف أبى بكر : أنه كان إذا صلّى وقرأ القرآن غلبه البكاء حتى أن الناس لا يسمعون صوته ولا قراءته لرقة قلبه وخشوعه ؛ فقد روى أحمد والبخارى ومسلم والنسائى أن رسول الله ﷺ لما اشتد مرضه قال : «مروا أبا بكر فَلْيُصَلِّ بالناس» ، قالت عائشة : إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه ، وفى رواية : إنه رجل أسيف إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس، ولم يُسمع الناس من البكاء . قال : «مروا أبا بكر فليصل بالناس» ، فعادت ، فعاد ، ثم قال فى الثالثة : «مروا أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحب يوسف»[2].

وجاء أيضاً فى وصف قراءته خبر مهم جداً فحواه :

أن أبا بكر لما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً فلقيه ابن الدغنة فسألة : أين تريد ؟ فقال : أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى.

قال ابن الدغنة : أنا لك جار ارجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع ، وارتحل معه

---

(١) رواه أبو داود برقم ٩٠٤ ، والترمذى فى «الشمائل» برقم ٢٧٦ ص ١٦٩ من مختصر الشمائل للألبانى ، والنسائى ١٣/٣ .

(٢) المسند ٢١٠/٦ ، والبخارى برقم ٦٧٨ و ٦٧٩ و ٣٣٨٥، ومسلم برقم ٤١٨ (الرقم الخاص ٩٤ و٩٥) والنسائى ٩٩/٢، قال ابن حجر فى «الفتح» ١٥٣/٢ : [والمراد أنهن مثل صواحب يوسف فى اظهار خلاف ما فى الباطن].

ابن الدغنة فطاف عشية فى أشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج ولا يُخرج .

أتخرجون رجلا يُكْسِب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكَلَ ، ويُقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق ؟ فلم تُكذب قريش بجوار ابن الدغنة ، قالوا لابن الدغنة : مر، فليعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بصلاته .

ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره ، وكان يصلى فيه ، ويقرأ القرآن ، فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم ، وهم يعجبون منه وينظرون إليه.

وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين . فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقالوا : أنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وأنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه؛ فإن أحبّ أن يقتصر على أن يعبد ربّه فى داره فعل ، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك ، فأنا قد كرهنا أن نخفرك ، ولسنا بمقرين لأبى بكر الاستعلان.

قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر فقال : قد علمت الذى عاقدت لك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك ، وإما أن ترجع لى ذمتى، فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أُخْفرت فى رجل عقدت له، فقال أبو بكر : فإنى أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل[1] .

إن قراءة أبى بكر بما فيها من التأثر والخشوع هزت المجتمع القريشى هزاً وألجأت ابن الدغنة أن يسترد جواره من أبى بكر.

---

(١) رواه البخارى برقم ٣٩٠٥، وأحمد ١٩٨/٦ ، وابن هشام ١١/٢ - ١٣.

صلاة النافلة ... والخشوع

يقول ﷺ : «أفضل صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة»[1].

فعليك يا أخى إذا صليت النافلة من غير الرواتب الضحى وقيام الليل أو النافلة من الرواتب فى منزلك أن تختار مكاناً فى البيت بعيداً عن الضجيج والصوارف والشواغل ، وتخلو فيه ، وتؤدى هذه النافلة وتأخذ بالأسباب الموصلة إلى الخشوع ، فقد يكون هذا الجو محققا لك الصفاء النفسى ، والإشراق الروحى ، والتألق الذهنى ... فتذكر الله فى الخلوة فتفيض عيناك.

ذلك أن هذه الخلوة لا تتاح للمصلى عندما يكون فى جماعة ، فقد يتشوش المصلى إذا وقف بجانبه إنسان لا يكف عن الحركة .. أو كان إلى جانبه إنسان تفوح منه روائح العرق المؤذية ، أو روائح الدخان ، أو الثوم أو البصل أو رائحة الطعام الزخم ، فيقطعه ذلك عن الخشوع .

وربما كان من حكم ترغيب المرء فى أن يصلى النوافل فى بيته أن يتاح له هذا الجو من الخلوة والصفاء الذى يحقق له الخشوع ، وهناك حكم أخرى كثيرة لهذا الأمر النبوى الكريم فللصلاة فى البيت فوائد ، وللصلاة المكتوبة فى المسجد مع الجماعة فوائد وحكم لا تخفى .

وقبيح بالمرء أن يتظاهر بالخشوع أمام الناس ثم إذا صلى وحيداً تعجل فى الصلاة ونقرها نقر الديك.

بل إن كثيراً من الصالحين كانوا ـ إذا كانوا فى سفر وأرادوا أن يصلوا ـ يخفون صلاتهم النافلة عن الناس خوفاً من الرياء . ذكر ابن أبى حاتم عن

---

(١) البخارى برقم ٧٣١، ومسلم برقم ٧٨١، وأبو داود برقم ١٠٤٤، والترمذى برقم ٤٥٠، والنسائى ١٩٨/٣، والموطأ ١/ ١٣٠، والمسند ١٨٢/٥.

محمد بن أعين وكان صاحب ابن المبارك فى الأسفار ، وكان كريماً عليه؛ قال : كان ذات ليلة ونحن فى غزاة الروم ذهب ليضع رأسه ليرينى أنه ينام . فقلت أنا برمحى فى يدى قبضت عليه ووضعت رأسى على الرمح كأنى أنام كذلك. قال: فظن أنى قد نمت ، فقام فأخذ فى صلاته ، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر وأنا أرمقه.

فلما طلع الفجر جاء فأيقظنى وظن أنى نائم وقال : يا محمد . فقلت : إنى لم أنم .

قال : فلما سمعها منى ، ما رأيته بعد ذلك يكلمنى ولا ينبسط إلىّ فى شئ من غزاته كلها ، كأنه لم يعجبه ذاك منى لما فطنت له من العمل .

فلم أزل أعرفها فيه حتى مات . ولم أر رجلاً قط أسرَّ منه[1].

الخشوع والشيطان

لقد أمرنا الله بأن نحذر الشيطان قال تعالى :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (٢٧) ﴾ [الأعراف]

ونهانا أن نتبع خطواته فقال عز من قائل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى

(١) الجرح والتعديل : لابن أبى حاتم ١/٢٦٦.

منكم مّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) ﴾ [النور]

ومن مكره وكيده للإنسان أنه يحاول أن يصرفه عن الخشوع فى الصلاة الذى هو سبب الفلاح، كما قرر الله تبارك وتعالى ؛ فيعمد إلى الوسوسة ويحاول أن يحول بين المرء وبين الصلاة والقراءة ؛ يلبّسها عليه .

فإذا حصل شئ من ذلك فليستعذ العبد بالله .

عن عثمان بن أبى العاص الثقفى أنه أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى ؛ يلبّسها علىّ .

فقال رسول الله ﷺ : «ذاك شيطان يقال له خنزب ، فإذا أحسسته فتعوذ الله منه واتفل على يسارك ثلاثاً».

قال : ففعلت ذلك، فأذهبه الله عنى(١).

فقد يلبس الشيطان على المرء فى القراءة ، ويشككه فى الصلاة حتى يصرفه عن الخشوع فليلجأ المسلم عند ذاك إلى الله .

وقد يعمد الشيطان إلى إدخال الشك فى وضوئه فيوسوس له بأنه انتقض وضوؤه ، فيبقى فى حيرة : أيقطع الصلاة ليتوضأ أم يمضى فى صلاته ؟

عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : «إن الشيطان يأتى أحدكم وهو فى صلاته فيأخذ شعرة من دبره ، فيمدها فيرى أنه قد أحدث ، فلا ينصرفنّ حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً»(٢).

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «إذا كان أحدكم فى الصلاة فوجد حركة فى دبره أحدث أو لم يحدث فأشكل عليه ، فلا

(١) صحيح مسلم برقم ٢٢٠٣.

(٢) مسند أحمد ٣/٩٦.

ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً» رواه أبو داود والترمذى ، ولفظه : «إذا كان أحدكم فى المسجد فوجد ريحاً بين أليتيه فلا يخرج حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً» رواه مسلم بلفظ : «إذا وجد أحدكم فى بطنه شيئاً فأشكل عليه أخرج منه شئ أم لا ؟ فلا يخرجنّ من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً»[1].

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : «إذا صلى أحدكم فلم يدر زاد أم نقص فليسجد سجدتين وهو قاعد ، فإذا أتاه الشيطان فقال : إنك قد أحدثت فليقل : كذبت إلا ما وجد ريحاً بأنفه أو صوتاً بأذنه» رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه[2].

وعن سعيد بن المسيب وعبّاد بن تميم عن عمه (عبد الله بن زيد) قال . شُكى إلى النبى الرجل يخيَّل إليه أنه يجد الشئ فى الصلاة قال : «لا ينصرف حتى يسمع صوتاً ، أو يجد ريحاً» رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه والترمذى[3] .

الخشوع المزور

هناك بعض المتصوفة ومن يقلدهم من الجهلة يأتون بحركات وهم فى الصلاة يدّعون فيها الخشوع ، كأن يضرب أحدهم الأرض برجله ويصيح

---

(١) أبو داود برقم ١٧٧ ، والترمذى برقم ٧٥ ، ومسلم برقم ٣٦٢.

(٢) أبو داود برقم ١٠٢٩ ، وروى الترمذى الجزء الأول منه برقم ٣٩٦ ، وقال حديث حسن ، وكذلك فقد روى ابن ماجه الجزء الأول منه فقط برقم ١٢٠٤.

(٣) البخارى برقم ١٣٧ ، ومسلم برقم ٣٦١، وأبو داود ١٧٦، والنسائى ١/٩٨ - ٩٩، وابن ماجه برقم ٥١٣ والترمذى .

بصوت عال جداً مدّعياً أن حالاً اعتراه وبعضهم يضطرب[1].

وهذا لم يؤثر عن سيّد الخاشعين ولا عن الصحابة المرْضيين الطيبين.

وكذلك البكاء العالى والنشيج الذى يفعله كثير من الناس فى الصلاة فى رمضان.

كل هذا ليس بالخشوع الذى نتحدث عنه ونتواصى به.

وجوب الخشوع

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - [ويدل على وجوب الخشوع فيها أيضاً قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) ﴾ [المؤمنون]

أخبر سبحانه أن هؤلاء هم الذين يرثون فردوس الجنة ، وذلك يقتضى أنه لا يرثها غيرهم ، وقد دلَّ هذا على وجوب هذه الخصال ؛ إذ لو كان فيها ما هو مستحب لكانت جنة الفردوس تورث بدونها، لأن الجنة تُنال بفعل الواجبات دون المستحبات، ولهذا لم يذكر فى هذه الخصال إلا ما هو واجب][2].

(١) ويحاول بعضهم التظاهر بهذا فى حلقات الذكر المبتدعة ، إذ يهذون ويخرج الزبد من أفواههم ويتظاهرون بالاغماء ونحوه.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٢/٥٥٤.

وقال أبو حامد الغزالى : [بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب . اعلم أن أدلة ذلك كثيرة ؛ فمن ذلك قوله تعالى :﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي (١٤) ﴾ [طه]

وظاهر الأمر الوجوب ، والغفلة تضاد الذكر ، فمن غفل فى جميع صلاته : كيف يكون مقيما للصلاة لذكره ؟

وقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) ﴾ [الأعراف] نهى ، وظاهره التحريم.

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣) ﴾ [النساء] . تعليل لنهى السكران .

وهو مطرد فى الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا... قال ﷺ: «كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب»[1]، وما أراد به إلا الغافل ، وقال ﷺ: «ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها»، والتحقيق فيه أن المصلى مناج ربه عز وجل كما ورد به الخبر ، والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة[2].

---

(١) وهو حديث صحيح رواه الدرامى ٢/٣٠١ وفى طبعة اليمانى برقم ٢٧٢٣ عن أبى هريرة ولفظه : «كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر»، ورواه أحمد ٢/٤٤١، وابن ماجة ١٦٩٠ بلفظ مقارب.

(٢) الإحياء ١/١٦٥-١٦٦ .

ومن الآيات التى تدل على مكانة الخشوع ووجوبه وأهميته قوله تعالى :
﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) ﴾ [البقرة]

وقوله جل ثناؤه : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) ﴾ [البقرة]

وبهذا يتحرر أن الخشوع واجب فى الصلاة ، ومن رحمة الله أنه اطلع على ضعف العباد ، فلم يجعل الخشوع شرطاً فى صحة الصلاة وإجزائها خلافا لما ذهب إليه الغزالى، وليس ركنا إن تركه بطلت ، فإذا حاول العبد الخشوع ولم يبلغه أو لم يحاوله فصلاته صحيحة على الراجح من أقوال العلماء وقد أجزأته ... إن الخشوع واجب وجدير بالمسلم أن يحرص عليه وأن يأتى بأسبابه الموصلة إليه والحديث : «المصلى يناجى ربه»(١) ، يقتضى أن يكون المصلى حاضر القلب لأن المناجاة لا تتم إلا بحضور القلب .

ثمرة الخشوع

إن ثمرة الخشوع تكون فى تكفير الذنوب ، وتحصيل الثواب الجزيل الذى أعدَّه الله للطائعين الخاشعين من عباده ، وفى استجابة الدعاء الذى يكون منهم فى الصلاة وما أكثره، وتكون فى القبول الذى يتقبل الله به عباده أعمالهم وطاعتهم.

عن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت له كفارة من الذنوب ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله» رواه مسلم(٢).

---

(١) قال الحافظ العراقى فيه : متفق عليه من حديث أنس انظر صحيح البخارى برقم ٤٠٥ و ٤١٣ و ٤١٧ ، وصحيح مسلم برقم ٥٥١ .

(٢) مسلم برقم ٢٢٨.

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شئ ؟».

قالوا : لا يبقى من درنه شئ.

قال : «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»(١).

فإذا ضممنا هذين الحديثين الصحيحين أحدهما إلى الآخر تبين ـ والله أعلم ـ أن الصلاة المكفرة للذنوب هى التى يحسن المرء وضوءها وخشوعها وركوعها ، والذنوب ـ هنا المراد بها الصغائر كما صرح بذلك العلماء .

وكما جاء فى الحديث الصحيح ؛ فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ، كفارة لما بينهن ما لم تُغش الكبائر»(٢).

ولقد ذكر الله تبارك وتعالى أن الخاشعين هم المفلحون ، كما جاء فى الآية التى سبق أن أوردناها وهى قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) ﴾ [المؤمنون] ويا لها من ثمرة عظيمة .

---

(١) رواه البخارى برقم ٥٢٨ ، ومسلم برقم ٦٦٧ .

(٢) رواه مسلم برقم ٢٣٣.

ومن ثمرات الخشوع التأثر بهذا الجو الروحى الذى يقود إلى التزام شرع الله والقيام بالواجبات والبعد عن المحرمات .

ومن ثمرات الخشوع حبّ الصلاة والمسارعة إليها .

الأمور التى تعين على الخشوع :

١- عليك - يا أخى - أن تجمع نفسك قبل الدخول فى الصلاة ؛ فلا تُحرم بالصلاة إلا بنفس مجتمعة وفكر متدبر ، وقلب حاضر .

واحذر أن تنتزع نفسك من مشاغلك وأعمالك، وتقبل على الصلاة مباشرة، دون أن تتهيأ لهذه الصلة الربانية ، ولهذا الوقوف بين يدى الله ، ولهذه المناجاة العظيمة .

يا أخى ، هل تسارع فى مقابلة مسؤول كبير : ملك أو وزير دون أن تُعدّ نفسك لهذه المقابلة ؟

وعليك يا أخى أن تستحضر عظمة الله الذى تقف بين يديه ؛ فهو سبحانه ملك الملوك وجبّار السموات والأرض ، هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ... له ملك السموات والأرض وإليه - سبحانه - تُرجع الأمور ... وهو على كل شئ قدير .. عليك أن تستحضر معانى هذه الأسماء الحسنى ، وتستحضر علمه الواسع ؛ فهو لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء يعلم خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور ، يعلم السرّ وأخفى ... وأن تستحضر أنك واقف بين يديه سبحانه تناجيه وتدعوه ... وتستحضر تقصيرك وتفريطك وضعفك وحاجتك إلى الله ... إن ذلك يعين على الخشوع والتذلل لله سبحانه .

ويحقق لك هذا الغرض حضورك المبكر صلاة الجماعة فى المسجد ؛ فإذا

أُذن للصلاة فسارع إلى المسجد وكلما بكرت فى الحضور إلى المسجد - كما دعت إلى ذلك السنة المطهرة - أتحت لنفسك جوًّا روحياً يجمع شتاتها ويغمرك بالخشوع تقرأ فى هذا الوقت شيئاً من القرآن أو تذكر الله وتدعوه بالمأثور من الدعاء بعد أدائك تحية المسجد والنافلة الراتبة ، وتبقى فى هذا الجو الروحى حتى تقام الصلاة .

فالجلوس قبل الصلاة يدخل فى (انتظار الصلاة بعد الصلاة) كما جاء الحديث عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟» .

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : «إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط»[(١)].

أما إذا صليت فى البيت لسبب من الأسباب المشروعه - وهذا قائم إلى النساء - فلتجلس قليلاً قبل الصلاة تحاول أن تجمع نفسك ، وتراجع ما ستقرؤه فى الصلاة .

وقد قال ﷺ : «لا يزال العبد فى صلاة ما كان فى مصلا ينتظر الصلاة، والملائكة تقول : اللهم اغفر له . اللهم ارحمه . حتى ينصرف أو يُحدث» قيل : وما يحدث ؟ قال : «يفسو أو يضرط»[(٢)].

والخشوع يتحقق بإقبال العبد على الله بفكره وقلبه وجوارحه ، وعندئذ سيقبل الله عليه بالمغفرة والقبول ، كما جاء فى الحديث القدسى عن أنس - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال :

---

(١) الموطأ ١٦١/١ ، وصحيح مسلم برقم ٢٥١ ، والترمذى برقم ٥١ .

(٢) رواه مسلم برقم ٦٤٩ ، وأبو داود برقم ٢٧١.

«إذا تقرب العبد إلىَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إلىَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة» رواه البخارى(١).

وكما جاء فى حديث أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يزال الله مقبلا على العبد فى صلاته ما لم يلتفت ، فإذا التفت صرف وجهه عنه» رواه أبو داود والنسائى(٢)، وكما فى الحديث القدسى الذى يقول فيه الرب تبارك وتعالى: «قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ... » .

إن العبد لو استطاع أن يحقق هذا الذى ذكرنا لحصل له الخشوع تلقائياً.

٣- وعليك يا أخى أن تستحضر تفاهة الدنيا ، وأن البقاء فيها - مهما طال - إلى رحيل ... وهو مؤقت وأن متاعها متاع الغرور ... وتستحضر أننا صائرون إلى الله لوفَّينا أعمالنا ؛ جاء فى الحديث القدسى : «يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفّيكم إياها ؛ فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه»(٣).

وعن سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال للذى أوصاه : «إذا صليت فصل صلاة مودِّع» رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبى(٤).

وقال ﷺ لابن عمر : «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» ، وكان

---

(١) صحيح البخارى برقم ٧٥٣٦.

(٢) أبو داود برقم ٩٠٩ ، النسائى ٨/٣.

(٣) مسلم برقم ٢٥٧٧، والترمذى برقم ٢٤٩٥، وابن ماجه برقم ٤٢٥٧ ، وأحمد ١٦٠/٥، و١٧٧.

(٤) المستدرك ٣٢٦/٤ - ٣٢٧ ، وأخرجه أحمد ٤١٢/٥، وابن ماجه برقم ٤١٧١، عن أبى أيوب أن رجلا جاء إلى النبى فقال : أوصنى فقال .....

عبد الله يقول : إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك» رواه البخارى(١).

إن معرفة الدنيا على حقيقتها تساعد المرء على امتثال تلك الوصية وهى أن يصلى صلاة مودّع.

٤- وعليك - يا أخى - ألا تتعجل فى أداء الصلاة ، أن ذلك سبب فى إفساد صلاتك. ولقد صلى رجل أمام رسول الله فأساء صلاته ، فقال له ﷺ «ارجع فصل فإنك لم تصل»(٢).

أدّ صلاتك - يا أخى - بأناة وتمهل وطمأنينة تامة ، فغالباً ما تكون سبباً فى ضياع معنى الخشوع، فقد روى أصحاب السنن أن النبى ﷺ قال : «لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه فى الركوع والسجود»(٣). وروى مسلم أنه ﷺ قال : «تلك صلاة المنافق يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى الشيطان قام فنقر أربعاً، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»(٤).

وقال أبو هريرة - رضى الله عنه - : «نهانى خليلى ﷺ أن أنقر فى صلاتى نقر الديك، وأن ألتفت التفات الثعلب ، وأن أقعى إقعاء القرد»(٥).

قال ابن تيمية : [وإذا كان الخشوع فى الصلاة واجباً ، وهو متضمن للسكون والخشوع فمن نقر نقر الغراب لم يخشع فى سجوده، ... فمن لم يطمئن لم يسكن ، ومن لم يسكن لم يخشع فى ركوعه ولا فى سجوده، ومن لم

(١) صحيح البخارى برقم ٦٤١٦.

(٢) البخارى برقم ٧٩٣ ، ومسلم برقم ٣٩٧ ، وأبو داود برقم ٨٥٦.

(٣) ابن ماجه ٨٧٠ ، وأبو داود ٨٥٥، والنسائى ١٨٣/٢ ،والترمذى برقم ٢٦٥ .

(٤) مسلم برقم ٦٢٢ .

(٥) رواه أحمد ٢٦٥/٢، والطيالسى ، وابن أبى شيبة . قال الألبانى : فى «صفة صلاة النبى» صفحة ١٣٥ : حسن .

يخشع كان آثماً عاصياً](1).

وقال ﷺ : «أسوأ الناس الذى يسرق من صلاته» قالوا : يا رسول الله ! وكيف يسرق من صلاته ؟

قال : «لا يتم ركوعها وسجودها»(2).

٥- والصلاة فى أول الوقت أعون على الحصول على الخشوع ، ذلك لأن المرء يكون فى فسحة من الوقت ، إن كان يريد أن يدخل الخلاء أو أن يجمع نفسه، أو أن يختار المكان الملائم للصلاة الخاشعة.

أما إذا أخَّرها إلى آخر الوقت لم يستطيع أن يفعل ذلك كله ... بل يصليها بسرعة وهو بحال يبعد عنه الخشوع ، وكذلك إذا أخَّر أداءها إلى ما قبل موعد مهمّ ، أو عمل أو أمر مستعجل يتحتم عليه فعله ، فإنه سيؤديها بسرعة ولا يكاد يفقه منها شيئاً.

٦- وعلى المصلى سواء كان بالمسجد أو فى البيت أن يتخذ سُترة يقف وراءها أو أن يقترب من الجدار حتى لا يشغله شاغل ولا يمرّ بين يديه مارٌّ ، فقد روى أبو داود والنسائي وغيرهما من حديث سهل بن حثمة مرفوعاً : «إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن منها لا يقطع الشيطان عليه صلاته»(3).

وهذه الوصية مهمة ويتهاون بها كثير من الناس .

٧- أحسن وضوءك - يا أخى - بحيث تغسل كل عضو يجب غسله مستوعباً محلَّ الغسل، فويل للأعقاب من النار(4)، كما جاء فى الحديث .

(١) الفتاوى ٢٢/٥٥٨.

(٢) رواه ابن أبى شيبة ، والطبرانى ، والحاكم ١/٢٢٩.

(٣) أبو داود برقم ٦٩٥، والنسائى ٢/٦٢، وانظر كلام ابن حجر فى الفتح ١/٥٧١ - ٥٨٤.

(٤) رواه البخارى ١٦٥، ومسلم ٢٤٢ ، والترمذى ٤١ ، وأبو داود ٩٧.

وقد يكون لذلك تأثير فى الخشوع وحضور القلب . جاء فى الحديث الذى أخرجه أحمد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح فقرأ الروم فيها فأوهم ، فلما انصرف قال : «إنه يلبس علينا القرآن أن أقواماً منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء ؛ فمن شهد الصلاة معنا فليحسن الوضوء»(١).

قال ابن كثير : [ثم رواه أحمد من طريقين آخرين عن عبد الملك بن عمير، سمعت شبيباً أبا روح من ذوى الكلاع أنه صلى مع النبى ﷺ ... فذكره ، فدلّ هذا على أن إكمال الطهارة يسهل القيام فى العبادة، ويعين العبد على إتمامها وإكمالها والقيام بمشروعاتها](٢).

٨- احرص - يا أخى - على أداء السنن الرواتب : فأداء الرواتب القبلية يوقظ القلب ويهيئه للخشوع ، وأداء الرواتب البعدية يمكن المعانى الكريمة التى اكتسبها المصلى . وثوابها عظيم جداً، وهو بيت فى الجنة ، روى مسلم فى صحيحه أن أم حبيبة قالت : سمعت رسول الله ﷺ : «من صلى اثنتى عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة فى يوم وليلة بُنى له بهنّ بيت فى الجنة»(٣). قالت أم حبيبة : فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ.

واحرص - يا أخى - على أداء النافلتين الآتيتين بصورة خاصة ، وهما : صلاة الضحى ، وصلاة قيام الليل ؛ لأن الفوارق الزمنية بين الصلوات قصيرة ، فيما عدا الفارق الذى يقع بين العشاء والفجر ، والفارق بين الفجر والظهر ، فهاتان مدتان طويلتان نسبياً . والقلب الذى يتصل بالله فى أوقات متقاربة مهيأ لاستحضار الخشوع أكثر من القلب الذى يمضى عليه وقت طويل دون صلاة،

---

(١) المسند ٣/٤٧١، و ٥/٣٦٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٣٩٠ عند تفسير الآية ١٠٨ من سورة التوبة .

لاسيما فى زمان كثرت فيه مشاغل الدنيا ، وطغت شهواتها ، وقويت أساليب الغواية ... إن أداء الرواتب والنوافل يسهّل على المرء الوصول إلى الخشوع فى الصلاة .

٩- وعليك - يا أخى - أن تقلل من حركاتك فى أثناء الصلاة ، بل لا تتحرك إلا لضرورة ؛ فسكون الجوارح يعين على حضور القلب .

فلقد روى مسلم وأبو داود والنسائى عن جابر بن سمرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ والناس رافعو أيديهم فى الصلاة . فقال : «مالى أراكم رافعى أيديكم كأنها أذناب خيل شُمُس ؟ اسكنوا فى الصلاة»(١).

قال ابن تيمية : [فقد أمر رسول الله ﷺ بالسكون فى الصلاة (٢)، وهذا يقتضى السكون فيها كلها ، والسكون لا يكون إلا بالطمأنينة فمن لم يطمئن لم يسكن فيها . وأمره بالسكون فيها موافق لما أمر الله تعالى به من الخشوع فيها](٣).

وروى البيهقى بإسناد صحيح عن مجاهد قال : كان ابن الزبير إذا قام فى الصلاة كأنه عود ، وحدّث أنّ أبا بكر كان كذلك . قال : وكان يقال : ذاك الخشوع فى الصلاة(٤) .

قال ابن تيمية : [ومنه حديث عمر - رضى الله عنه - حيث رأى رجلاً يعبث فى صلاته ، فقال : لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه . أى لسكنت وخضعت](٥).

---

(١) مسلم ٤٣٠ ، وأبو داود ١٠٠٠ ، والنسائى ج٣ ص٤ ، وأحمد ٩٣/٥ .

(٢) يشير إلى قوله ﷺ : «اسكنوا فى الصلاة» .

(٣) الفتاوى ٥٦١/٢٢ .

(٤) السنن الكبرى للبيهقى ٢/ ٢٨٠ .

(٥) الفتاوى ٥٥٤/٢٢ .

والالتفات يتنافى مع السكون الذى يؤدى إلى الخشوع، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إذا صليتم فلا تلتفتوا ؛ فإنّ الله ينصب وجهه لوجه عبده فى الصلاة ما لم يلتفت»(١). وقال ﷺ أيضاً بشأن الالتفات : «إنه اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»(٢) . وقال ﷺ : لا يزال الله مقبلاً على العبد فى صلاته ما لم يلتفت ؛ فإذا صرف وجهه انصرف عنه»(٣).

١٠- وعليك - يا أخى - أن تستبعد المشاغل كلّها فى وقت الصلاة ، فلتضبط أمورك بحيث لا يكون لك صارف عن الإقبال على الصلاة فى وقتها المحدد المعروف . كان أبو الدرداء يقول : (من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله فى الصلاة ، ليدخل فى الصلاة وقلبه فارغ)(٤).

وعليك أن تستعد لها بأن تزيل الضرورة وتقضى من شأنك ؛ فمدافعة الأخبثين تذهب بالخشوع .

ومما يساعد على الخشوع ألا يصلى المرء وهو مشغول بالطعام ، لجوعه الشديد ، أو أن يصلى بحضرة الطعام ونفسه متطلعة إليه .

عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبى ﷺ قال : «لا صلاة بحضرة طعام ، ولا وهو يدافعه الأخبثان»(٥).

وجاء فى الصحيحين قال ﷺ : «إذا وضع العشاء وأقيمت الصلاة

---

(١) رواه أحمد ٤/ ١٣٠ ، والترمذى برقم ٢٨٦٣.

(٢) رواه البخارى برقم ٧٥١، وأحمد ٦/١٠٦، وأبو داود ٩١٠، والنسائى ٣/٨، والترمذى ٥٩٠ ، وابن خزيمة ٩٣١، وابن حبان ٦/٦٤ وصححه .

(٣) رواه أحمد ، وأبو داود ٩٠٩ ، والنسائى ٣/٨.

(٤) الإحياء : للغزالى ١/١٧٨ .

(٥) مسلم برقم ٥٦٠ ، وأبو داود برقم ٨٩.

فابدؤوا بالعشاء»[1].

١١- وعليك - يا أخى - أن تلتزم بأحكام الصلاة وآدابها ، وتمتنع عن محظوراتها ؛ فلا تسابق الإمام ، ولا تنظر إلى السماء ...

فعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى صلاتهم ؟ » فاشتد قوله فى ذلك حتى قال : «لينتهنَّ عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم» رواه البخارى وأبو داود[2] .

وعن جابر بن سمُرة قال : قال رسول الله ﷺ : «لينتهن أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى الصلاة أو لا ترجع إليهم» رواه مسلم وأبو داود [3].

فلا تفعل ذلك ... بل اجعل نظرك فى موضع سجودك . كما جاء فى وصف صلاته ﷺ ، فقد روى البيهقى والحاكم أنه ﷺ كان إذا صلّى رأسه ورمى ببصره إلى الأرض[4].

واجتنب تدوير بصرك فى أنحاء المكان الذى تصلى فيه . واجتنب متابعة من يدخل ومن يخرج ومن يمرّ بجانبك .

قال الحسن البصرى : كان خشوعهم فى قلوبهم ، فغضّوا بذلك أبصارهم وخفضوا الجناح[5].

وقال محمد بن سيرين : كانوا يقولون : لا يجاوز بصره مصلاه ، فإن كان قد اعتاد النظر فليغمض[6].

---

(١) البخارى برقم ٥٤٦٣، ومسلم برقم ٥٥٧.

(٢) البخارى برقم ٧٥٠ ، وأبو داود ٩١٣.

(٣) مسلم برقم ٤٢٨، وأبو داود برقم ٩١٢.

(٤) نقل ذلك الألبانى فى صفة صلاة النبى ص٨٠ ، وانظر «السنن الكبرى» للبيهقى ٢/٢٨٣.

(٥، ٦) تفسير ابن كثير ٣/٢٣٨.

الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس